

المكتبة الصوفية

# تخفة السالكين

ودلائل السائرين

لمنهج المقرئين

تأليف

العلامة محمد المنير السمنودي

الناشر

مكتبة الثقافة الدينية



مرکز تحقیقات تکوین و تفسیر علوم اسلامی

جمعہ داری اموال

مرکز تحقیقات کامپیوٹری علوم اسلامی

شماره ۱۵۲۳

شماره ۱۵۲۳

تَحْفِظُ السَّالِكِينَ

وَدَلَالَةُ السَّائِرِينَ

لِمَنْهَجِ الْمُقَرَّبِينَ

|                                  |
|----------------------------------|
| ٥-١-٢٠٠٨                         |
| مركز تحقيقات كفاءات ودراسات علوم |
| شماره ثبت: ٣٣٥٣١                 |
| تاریخ ثبت:                       |

الطبعة الاولى  
١٤٢٠هـ - ٢٠٠٩  
حقوق الطبع محفوظة للناس  
الناشر  
مكتبة الثقافة الدينية  
٥٢٦ شارع بورسعيد - القاهرة  
٢٥٩٢٢٦٢ - ٢٥٩٣٨٤١١ / فاكس: ٢٥٩٢٦٢٧٧  
E-mail: alsakafa\_aldinay@hotmail.com

بطاقة الفهرسة  
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية  
إدارة المخطوطات الفنية

المسنودى ، محمد بن حسن بن محمد ، ١٧٨٢ - ١٠٠٠  
تعطى السالكين ودلائل السالكين لمنهج المقرئين فى بيان الطريق / لمحمد المسنودى  
ط ١ - القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية ٢٠٠٨  
١٩٩ ص : ٢٤ سم  
تكمك : ٣٩٥ - ٣٤١ - ٩٧٧  
١ - التصوف الاملاى  
٢ - الوعظ والارشاد  
١ - العنوان

ليوى : ٢٦٠

رقم الابداع : ١٦٩٩٧ - ٢٠٠٨/٨/٢٨

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## ترجمة المؤلف

هو: محمد بن حسن بن محمد السنودى الأزهرى، المعروف بالمنير.  
فقيه شافعى، كان أول من انتزع مشيخة الأزهر من يد المالكية.  
ولد في سنود بمصر سنة ١٠٩٩هـ / ١٦٨٨م، وتعلم بالأزهر وتولى  
مشيخته.

وتوفى بالقاهرة سنة ١١٩٩هـ / ١٧٨٥م.  
له منظومة في «رواية ورش»، و «النور الجامع» فقه، و «منظومة في علم  
الفلك» وشرحها، و «ثبت» وله «مقدمة تشمل على رواية حفص» في  
القراءات.

والكتاب الذي بين أيدينا.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مقدمة المؤلف

الحمد لله الذي أزال الران عن قلوب العارفين، وأبرز من سماء الذات نور  
شموس الأسماء لوصول السائرين، وأخرج فؤاد الأحباب من ضيق الاحتجاب إلى  
النور المبين، ورسم بيد العناية سطر آلاء إنعامه في صفحات ألواح عقول  
المنكسرين، الذي أحيا أموات المقامات بوابل غيث الأذكار لإنبات العلوم اللدنية  
في فؤاد الواصلين.

أحمد حمد من سقاه الله من حمر محبته شراب اليقين.  
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة من أقر بها بذل العبودية  
كان من الموقنين.

وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله، موضع طريق المقربين الذي  
أنزل عليه: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١).  
صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، الذين مشوا على طريقته وتحققوا بحقائق  
الدين... وبعد.

فيقول العبد الفقير محمد المنير السمنودي: قد سألني بعض الأخوان، رزقني الله  
وإياهم اليقين والوصول إلى مقام التمكن، أن أجمع شيئا مما يحتاجه الراغب في  
سلوك الطريق ومنازل أهل التحقيق، فقرعت عند ذلك باب الاستخارة بيد  
الافتقار، وأسبلت الدموع عن مقلتي الذل والانكسار، وعلمت بأنني لست من

خيل هذا الميدان ممن تجول فيه فحول الفرسان، فحين أمدني شيخى وقدوتى إلى الله الشمس الحفى بنظره سرت في بحر عرفانه أسبح، وبفيض أمداده أُنْفَح، فأجبتة إلى ذلك طالباً من الله العون والإخلاص، وأن يكون سبباً لنجاتى يوم القصاص.

وسميته «تحفة السالكين ودلالة السالكين لمنهج المقربين».

وربته على عشرة أبواب وخاتمة.

«الباب الأول»: في كيفية العهد والتلقين ووصية الشيخ للمريد بعد العهد.

«الباب الثانى»: في الذكر وآدابه والحث على استعماله.

«الباب الثالث»: في بيان الطريق للوصول إلى الله وأركانها حسب ما قالوه

على الوجه الذى ذكروه.

«الباب الرابع»: فيما يتعلق بالشيخ وشروطه وآدابه.

«الباب الخامس»: في بيان آداب المريد مع شيوخه.

«الباب السادس»: في بيان آداب المريد مع إخوانه.

«الباب السابع»: في بيان آداب المريد مع نفسه.

«الباب الثامن»: في الأسباب التى يستحق بها المريد الطرد من شيخه.

«الباب التاسع»: في النقابة والنقباء وما يتعلق بذلك.

«الباب العاشر»: في النفوس وتقسيمها وأوصافها والأسماء التى يستعملها

السالك في كل نفس.

«الخاتمة» في شىء من مصطلح القوم.

فأقول مستمناً من الله القبول:



# الباب الأول

في كيفية العهد والتلقين  
ورؤية الشيخ للمريد بعد العهد



مركز بحوث العلوم الإسلامية



مرکز تحقیقات کتاب و اطلاع‌رسانی

اعلم أن العهد لغة: الترام شيء يوفى به في المستقبل، حقاً كان أو باطلاً، ومنه تعاھدت بو فلان على كذا وكذا، وشرعاً: الترام قرية دبية، كالترام الأنصار أهم يحمون النبي ﷺ مما يحمون مه ساءهم وأولادهم، والأصل فيه قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَلَدِيكَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَكَ أَفَّةً﴾<sup>(١)</sup> الآية، وقد ثبت من فعله ﷺ.

وشروطه: كمال الشيخ وانقياد المريد، ووجود التسليك، والأصل في التلقين ما رواه الطبراني والبرار وغيرهما أن النبي ﷺ لقن أصحابه كلمة: لا إله إلا الله، جماعة وفرادى، بعد أن سبق تكرارها منهم مد أسلموا إلى ذلك الوقت، فأما تلقيه لأصحابه ﷺ جماعة فقد قال شداد بن أوس ؓ: كما عهد رسول الله ﷺ فقال ﷺ: «هل فيكم عريب؟» يعني من أهل الكتاب؟ قلنا: لا يا رسول الله، فأمر رسول الله ﷺ بعلق الباب وقال: «ارفعوا أيديكم وقولوا لا إله إلا الله» فرفعوا أيديهم وقلنا: لا إله إلا الله، ثم قال رسول الله ﷺ: «ألا أبشروا فإن الله قد غفر لكم».

وأما تلقيه ﷺ لأصحابه فرادى فقد قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: سألت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله دلني على أقرب الطرق إلى الله عز وجل وأسهد بها على عباده وأفصلها عند الله، فقال رسول الله ﷺ: «يا علي عليك بمداومة ذكر الله، عز وجل، سراً وجرها» فقال علي ؓ: كل الناس ذاكرون يا رسول الله، وإنما أريد أن تحصني بشيء، فقال رسول الله ﷺ: «مه يا علي، أفضل ما قلته أنا والبيون من قبلي لا إله إلا الله، ولو أن أهل السموات السبع

والأرضين السبع في كفة ولا إله إلا الله في كفة لرحمت لا إله إلا الله» ثم قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول: الله الله» ثم قال على ﷺ: كيف أذكر يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «عمض عينيك واسمع مني لا إله إلا الله، ثلاث مرات، ثم قل أنت: لا إله إلا الله، ثلاث مرات وأنا أسمع» ثم رفع رأسه ﷺ ومد صوته وهو معمص عييه وقال: لا إله إلا الله، ثلاثاً، وعلى يسمع، ثم إن علياً رفع رأسه ومد صوته وهو معمص عييه وقال: لا إله إلا الله، ثلاث مرات، والبي ﷺ يسمع.

هذا أصل سد القوم في النقيض، وربما أمر النبي ﷺ بعلق الباب إشارة إلى أن طريقة القوم مبنية على السر وصفاء الوقت وأنه لا ينبغي أن يذكر لك منه بحضرة من ليس منهم ولا يعتقد فيهم.

واعلم أن من فوائد التلقين ارتباط القلوب بعضها ببعض إلى رسول الله ﷺ، ثم إلى الله عز وجل، وأقل ما يحصل للمريد الصادق إذا دخل سلسلة القوم بالتلقين أن يكون إذا حرك حلقة نفسه نحو روح الأولياء من شيخه إلى رسول الله ﷺ إلى حضرة الله عز وجل، فمن لم يدخل في طريقهم بالتلقين فهو غير معدود منهم، وإذا تحرك لا يجبه أحد.

ومن آداب التلقين وما يستحسن له: أن يأمر الشيخ المريد قبل ذلك أن يبيت ثلاث ليالٍ على طهارة، ويصلي كل ليلة ست ركعات، يقرأ في أولها الفاتحة مرة، وإنا أنزلناه ستاً، وفي الثانية الفاتحة وإنا أنزلناه مرتين، ويسلم ويهدي ثواب ذلك إلى روح النبي ﷺ ويستمد منه ﷺ القبول والهدى والفتح، ثم يصلي ركعتين، يقرأ في الأولى الفاتحة ولكافرون خمساً، وفي الثانية الفاتحة والكافرون ثلاثاً، ويهدي ثواب ذلك إلى الأنبياء ومرسلين والأولياء أجمعين، ويستمد منهم،

ثم يصلي ركعتين، يقرأ في الأولى الماتحة وإخلاص أربعاً، وفي الثانية الماتحة وإخلاص مرتين، ويهدي ثواب ذلك لمرشده ومشايخه، ويستمد منهم أجمعين القبول والفتح، ويصلي على النبي ﷺ عشراً، ويقول في الأخيرة منها: وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وآل كل وصحبهم عدد ما خلق الله بدوام ملك الله، فإن كان يحسن ما تقدم فعل وإلا قرأ في الجميع سورة الإخلاص وإلا بالماتحة، ثم يجلس متربعاً يشرع في قوله: جزا الله عما سيدنا ونبياً محمداً ﷺ ما هو أهله، ألف مرة، كل ليلة عند نومه، ويكون ذلك آخر عمله في فراشه حال كونه مستحضر النبي ﷺ كأن يراه متأدياً بين يديه بذلك الحضور والاستحضار وهو واضح حبه على فراشه حينئذ وهو يذكر ليأخذه النوم على ذلك، فإن كان المريء شريف الاستعداد صادق الحالات حصل له من ذلك وقائع حسنة وإمدادات جميلة بأول أمره ليتبين حاله واستعداداته قبل تلقيه ذكر الأم، وإذا أورد الشيخ عمر ذلك العدد بأريد منه أو أقل جاز على حسب نظره في المريء أو بعد ذلك كقولنا: اللهم يا رب محمد صل على محمد، واجز محمداً عني ما هو أهله كفاً، أو كما يرى بأزيد أو أقل، أو سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم، أستعمر الله.

وقال في السبط المعين في فصل الذكر والتلقي بعد نوبته: يستعمر الله مائة ألف مرة، فإذا أتمها صلى على النبي ﷺ بهذه الصفة مائة ألف مرة، وهي: اللهم صل على سيدنا محمد الحبيب، وعلى آله وصحبه وسلم، فإذا أتمها لقنه ذكر الأم. وقال بعضهم: من مستحسنته أن يستعمر الله سبعين ألف مرة، ثم يسبح مائة ألف مرة، ثم يصلي على النبي ﷺ مائة ألف مرة، ثم يلقيه ذكر الأم، فكل هذه مفاتيح حرائن الله تعالى، فهو مفاتيح الطريق في قلوب عباده المسترشدين به إليه، وبعد ذلك يلقيه الذكر، صبح الثلاث، إن كان مقيماً، أو ليلة إن كان مسافراً، فإن

ضاق وقته أمره بالوصوء وصلاة ركعتين لله بقصد التوبة ويهدي ثواب ذلك لأهل السلسلة جميعاً وللمسيح عليه السلام، ويستمد منهم دعوى والفتح والقول من الله عز وجل. ويوصيه بما يليق به إن كان مجرد عبادة، أو كان مسساً فيكون كما يراه له، فإن كان مسافراً جعل له من ذكر لأم ورداً معبياً لا يحل به، عسى قدر ما يراه، لأنه طبيه ودليبه ومصاحبه في صريقه، وبه يصلح انشائه إليه في الطريق وأهلها ويكون وارثاً فيه له، وحياة نفسه بعد سلقين مع الخد والاجتهاد، وقد ورد في الخبر: «من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه» فيحصل له بعد ذلك الإمداد بقدر الاستعداد.

واعلم أن التلقين لذكر أولا كلبيرة تعرض لثبوت فروعها بعد ثبوت أصلها في قلب الذاكر فيمتد بالورد منها بقدر همته، والذكر نفسه مفتاح الفلاح ومصباح الأرواح، ويسعى للشيخ أن يذكر بمريد عند التلقين نسبه لئلا يجهل المريد أباه إذا كان المريد لا يعرف سبب الطريق، وسلسلة القوم أو كان هناك من لا يعرف ذلك، لأن من لا يعرف نسبه فهو لقيط في الطريق، وربما انتسب إلى عمر أبيه، وقوله تعالى: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾<sup>(١)</sup>، والمراد بمعرفة الآباء الاقتداء بهم في الأخلاق الشرعية، وقال سيدي عمر بن الفارض: سبب أقرب في سرع اهوى يسا من سبب من أبوى وذلك لأن الروح ألصق بك، فأبو الروح يليك، وأبو الجسم بعده، فكذلك بذلك أحق بأن تنتسب إليه دون أبي الجسم، وورد أن المرء ابن ديه، وقد درج السلف الصالح كلهم على تعليم المريدين آداب آباؤهم ومعرفة أسماؤهم، وصرح في القول المتين في فضل الذكر

والتلقين أن ذكر سيد التقين مقدم عليه بخلاف سند لباس الخرقه، وقال الشعراي في مدارج السالكين بعكس ذلك.

ولندكر سلسلة القوم هـا نيركاً، ويقف عليها المريد الذي لم يرها، فقول: «لَقْن رَب العرة جبريل <sup>عليه السلام</sup>»، وهو لَقْن السي <sup>عليه السلام</sup>، وهو لَقْن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وهو لَقْن ابنه الحسن، وأخيه، والحسن البصري، وكمال بن زياد، والحسن البصري لَقْن حبيب العجمي، وهو لَقْن داود بن نصر الطائي، وهو لَقْن معروف بن فزوز الكرخي، وهو لَقْن السري بن مجلس السقطي، وهو لَقْن الجنيد بن محمد، سيد الطائفة، البغدادي، وهو لَقْن محمد الدينوري، وهو لَقْن محمد البكري، وهو لَقْن وجيه الدين القاسي، وهو لَقْن عمر البكري، وهو لَقْن أبا النعيب السهروردي، وهو لَقْن قطب الدين الأهرى، وهو لَقْن ركن الدين محمد الحاشي، وهو لَقْن شهاب الدين أحمد <sup>شيراوي</sup>، وهو لَقْن سيدي جمال الدين التبريزي، وهو لَقْن إبراهيم الراهد الخيالي، وهو لَقْن محمد الحلوتي، وهو لَقْن محمد اميرام الحلوتي، وهو لَقْن الحاج عمر نسي، وهو لَقْن صدر الدين الخيالي؛ وهو لَقْن سيدي يحيى الماكوري، صاحب ورد نِستار وهو لَقْن سيدي محمد بهاء الدين الشيراواني ويقال له الأربحالي، وهو لَقْن حلي سلطان الأقسداي الشهير بحمال الحلوتي، وهو لَقْن خير الدين التوقادي، وهو لَقْن الشيخ شعبان القسطنطيني وهو لَقْن يحيى الدين القسطنطيني، وهو لَقْن سيدي عمر العوادي، وهو لَقْن إسماعيل الجرومي المنهون بالعرب من مرقه سيدي بلال الحبشي بديار الشام، وهو لَقْن: علي قرا باشا أفندم، وتختلف عن وليه الشيخ مصطفى الطبراني هو الذي أجاز بالإرشاد وهو لَقْن الشيخ عبد اللطيف الحلوتي الحلبي، وهو لَقْن، وأرشد قطب الوجود مصطفى بن كمال الدين الصديقي صاحب ورد سحر، وهو لَقْن قطب





بالفتح وهو واضع يده على ركة مسمه، وكذا المرید، وكل غاض بصره ويقول له اسمع مني ذكر الجلالة — ثلاث مرات — وقل أنت بعدی، ذلك ثلاثاً وأنت مغمض عینك وأنا اسمع منك، ثم يستأذن الشيخ ويطلب المدد من أهل السلسلة، ويقول: دستور يا أهل هذا الشأن، دستور يا أصحاب القدم دستور، يا قطب الرمان وبلغته فإذا اجتمع عهد تلقى قدم العهد ويدعو للمريد بعد ذلك بنحو ما تقدم ثم يوصيه الشيخ بعد ذلك قس أن يقوم من بين يديه، وهي نتيجة العهد فيقول: اسمع مني وصيني إليك واعمل بها كما أكرمت نفسك عهد الله وميثاقه أن تتقى الله في سائر أحوالك وتحلص في جميع أعمالك ولا تلتفت لسظر الحق إليك في مدح ودم، بل غب عنهم سظر الله تعالى وإطلاعه على شرك وعلايتك، وعليك باتباع الكتاب والسنة فإلهما الطريق الموصل إلى الله تعالى، واعمل متحرراً عن حطوط نفسك في الدنيا والآخرة، ولا تعمل لملاحظة الكرامات ولا خوفاً من عقاب الله، ولا طمعا في ثوابه، بل بقصد رضى الله عنك ومحبه إليك ورفع المحبة عنك والقيام بحقوق الصودية.

واعلم أن الثواب لا شك حاصل لك، وتحصيل الحاصل صحت، وعليك بالرهق في الدنيا إلا ما يستر العورة أو آوى الحمة، وسد الجوعة، فإن ردت عن ذلك وإياك والعرور، وعليك بالورع عن كل ما فيه شبهة، عيبك بكف الأذى، أوديت عيبك بالصبر فإنه رأس العبادة، وعليك بالرصى عن الله في كل شيء ورد عليك منه، وعليك بمحاسبة من يذل على الله بقوه وبمعنه، وعيبك بكف لسانك عما لا يعيبك، وعليك بالثقة بالله على كل حال، وفي كل حال، والتوكل على الله، والشكر له، وعليك بذكر الموت فإنه أساس الرهد، وإياك والمحاسبة والمهادلة والمخاراة، وإن كنت محققاً وإياك ولبعي وحب المدح والشهرة بالخير، وعليك بالترام الأدب مع كل مخلوق، واعلم أن لكل مسلم بركة وسر عظيم، ولا تناس

من رحمة الله وفرجه، وإن صاقت لأمر، فإن الله يقول: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ﴾<sup>(١)</sup> ولا تشك الله إلى أحد من خلقه، فإنه المعاني والمسلَى والقابض والباسط والمصر والنافع، وتكون في الدنيا كأنت غريب أو عابر سبيل، وتتفقد ما في يدك من مكاسب الحرام، وتجتهد في مكاسب الحلال وتترك ما يقطعك ويذهبك عن عبادة الله والزم قلبك التفكير في مصروعات الله وتعود نفسك السهر وتجعل الذكر أيسر وأجلى من الحزن وجلسك وبرهه شعارك والورع دثارك والصمت قريبك، واقطع همارك بالخروج والطمأ، وليست بالسهر والبكاء، والتفكير في ديوك السائمة، ومثل الجنة عن عييك والدار عن يسارك، والصراط تحت قدميك والميران بين يديك والرب مطمع عليك يقول: ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِتَفِيلِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَبِيبًا ۖ﴾<sup>(٢)</sup> واستعمل ما هو نافع لك في دينك وديارك، وهي الطاعة، ودع ما هو مصر، وهي المعصية.

واعلم أن الله يقول: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۖ﴾<sup>(٣)</sup> ومن يعمل مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ<sup>(٤)</sup> وترك المعصية أو من التوبة من الذنب.

قال بعضهم شعراً:

|                         |                     |
|-------------------------|---------------------|
| فرض على الناس أن يتوبوا | لكن ترك الذنوب أوجب |
| والدهر تصريفه عجيب      | وعمة الناس عنه أعجب |
| والصبر في البائات صعب   | لكن موت الثواب أصعب |
| وكل ما ترجى قريب        | والموت من ذاك أقرب  |

(١) سورة الشرح آيتا ١٥، ١٦.

(٢) سورة الإسراء آية ١٤.

(٣) سورة الزلزلة آية ٧، ٨.

# الباب الثاني

في الذكر وآدابه والحث على استعماله



اعلم أن الذكر هو تردد اسم المذكور بالقلب واللسان، ولا شيء أقرب لطريق الوصول إلى الله عز وجل منه، فهو علم على وجود ولاية العبد المشتغل به، فمن وفق للذكر أعطى مشور الولاية، ومن سلب عنه الذكر فقد عُزل عن الولاية.

قال بعضهم شعرا:

الذكر أعظم باب أت داخله      لله فاجعل له الأنفاس حراسا

قال الأستاذ القشيري: الذكر عنوان لولاية ومعيار الوصلة وعلامة صحة البداية، ودلالة ضياء النهاية، وليس وراءه لذكر شيء، وجميع الحاصل المحمودة راجعة إلى المذكور، ومشورها من الذكر.

قال بعضهم. إذا أراد الله أن يولي عبدا فتح له باب ذكره، فإذا استلذ بذكره فتح له باب القرب، ثم رفعه إلى محال الأس بالله، ثم أحلسه على كرسي التوحيد، ثم رفعه عن الحجب، وأدخله دار القرب، وكشف له الجلال والعظمة، فإذا وقع بظره وبصره على الجلال والعظمة خرج من حبه ودواعي نفسه، فكان تحت حكم ربه لا تحت حكم نفسه، وقد ورد الحث على ملازمة الذكر.

قال تعالى: ﴿مَذْكُورِي أَذْكُرْكُمْ﴾<sup>(١)</sup> ﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾<sup>(٢)</sup> ﴿وَلْيَذْكُرُوا الْأَنْبِيَاءَ﴾<sup>(٣)</sup> ﴿وَلْيَذْكُرُوا اللَّهَ أَكْثَرَ﴾<sup>(٤)</sup> ﴿وَذِكْرُكَ إِنَّ الذِّكْرَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٥)</sup> ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾<sup>(٦)</sup>.

(١) سورة البقرة آية ١٥٢.

(٢) سورة الأنفال آية ٤٥.

(٣) سورة إبراهيم آية ٥٢.

(٤) سورة العنكبوت آية ٤٥.

(٥) سورة الذاريات آية ٥٥.

(٦) سورة آل عمران آية ١٩١.

إلى غير ذلك من الآيات.

وقال ﷺ: «قال الله تعالى في الحديث القدسي: أنا عبد ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، إن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير من مثي، وإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن تقرب مني شراً تقربت منه ذراعاً، وإن تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً وإن أتاني يمشي أتيته هروء» وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من عمر منكم عن الليل أن يكابده، وجهر عن العدو أن يقاتله، ويخجل بالمال أن ينفعه، فليكثر ذكر الله» وقال ﷺ: «ألا أحرككم بحر أعمالكم وأركاها عبد مليكم، وأرفعها في درجاتكم، وحرركم من إغراق الذهب والمضة، وحرركم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟» قالوا بلى يا رسول الله، قال: «ذكر الله» وعن جابر خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن في مسجد المدينة، فقال: «إن الله سراها من الملائكة تحول وتقف في مجلس الذكر، فإذا رأسي رياض الجنة فارتعوا، فقالوا: وما رياض الجنة يا رسول الله؟ قال: «بجالس الذكر، اعدوا وروحوا في ذكر الله، ومن كان يحب أن يعلم منزلته عنده، الله فلينظر كيف منزلة الله عند فإن الله ينزل العبد حيث أنزله من نفسه».

قال عبد الله بن بشر: أتني رجل من رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله إن شرائع الإسلام كثرت عليّ فمرني بشيء أثبت به، فقال رسول الله: «لا يزال لسانك رطب بذكر الله تعالى» وفي الخبر عن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يقول: عبدي اذكرني ساعة بالفداء وساعة بالعشي أكفك ما بينهما».

وقال ﷺ: «مثل الذي يذكر الله وأسى لا يذكر الله مثل النسي والميت» وقال ﷺ: «ليس يتحسر أهل الجنة إلا على ساعة مرت بهم ولم يدكروا الله فيها» وقال

ﷺ. «ما من قوم جلسوا مجلساً ونمروا منه ولم يدكروا الله فيه إلا كأنما تفرقوا عن جيفة حمار، وكان عليهم حسرة يوم القيامة» وقال ﷺ: «من أكثر ذكر الله أحبه الله تعالى» وقال ﷺ: «من أكثر ذكر الله برئ من النفاق» وقال ﷺ: «لذكر الله بالعبادة والعشى خير من حطم السيوف في سبيل الله تعالى» وقال ﷺ: «بمجالس الذكر تتزل عليهم السكينة وتخف بهم الدلائكة وتعشاهم الرحمة ويذكروهم الله على عرشه» وقال ﷺ: «أكثرُوا ذكر الله حتى يقولوا بحسون» وقال ﷺ أكثرُوا ذكر الله حتى يقول المافقون: إنكم مراءون.

وأنشد بعضهم:

حنين قلوب العارفين إلى الذكر وبذكرهم عند المناجاة بالعسر  
وأجسامهم في الأرض سكري بجم وأرواحهم في نيل حجب العلا تسرى  
عباد عليهم رحمة من الله أبريت فظنوا عكروا في الفياق وفي الفقير  
وراعوا نجوم الليل لا يرقدوا له بأدمان تبيت اليقين مع الصبر  
فهذا نعيم القوم إن كنت فاهما وتعقل من مولاك آداب من يلزني  
فاعرسوا إلا بقرب جميعهم وما ضحروا من مس بؤس ولا ضوى  
أديرت كنوس المداما عليهم فاعموا عن الدنيا كإغفاء ذي سكري  
همومهم حالت لهم حجب العلا وهم أهل ود الله كالأنجم الزهري  
فلا عيش إلا مع أناس قلوبهم نحن إلى التقوى وترتاح في الذكر  
وقال بعضهم: الذكر سيف المرید يقاوم به أعداءه من الجن والإس، وتدفع به عنه الآفات التي تطرقه، وقال بعضهم: من ذكر الله حفظه الله.

ومن خصائص الذكر أنه غير موقت بوقت، فما من وقت إلا والعبد مطلوب فيه الذكر إما وجوباً وإما ندباً بخلاف غيره من الصاعات.

وأنشد بعضهم:

ودكر الله يحس كل وقت      فحصل حاجة وارجع إليه  
ومن ينفع أخاه لفعل خير      مع الأذكار م يذكر عليه  
فيسعى للعبد أن يكثر منه في كل - لانه فيستغرق فيه جميع أوقاته، وليس له  
أن يتركه لوجود علة، فإن تركه به أشد من عفته فيه، فعليه أن يذكر، وإن كان  
عاقلاً فلعل ذكره مع وجود العلة يرفعه إلى الذكر مع وجود اليقظة، وهذا نعت  
العقلاء، ولعل ذكره مع وجود اليقظة يرفعه إلى الذكر مع وجود الحضور مع  
المذكور، وهذا صفة العلماء، ولعل ذكره مع وجود الحضور يرفعه إلى الذكر مع  
وجود العبة عن سوى المذكور، وهذه مرتبة العارفين المحققين من الأولياء، قال  
تعالى: ﴿وَأَذْكُرْكَ إِذْ أَنْسَيْتَ﴾<sup>(١)</sup> أي نسيت غيره، وأشار بعضهم إلى هذا المعنى  
فقال:

يذكر الله تنهع القلوب      وتنتضح السرائر والعبوب  
وترى الذكر أفصل كل شيء      فشمس البسات ليس لها غيوب  
فترك ذكر الغير هو أساس كل خير، فإن نسيت ما سواه به كنت ذاكرًا لله  
حقاً، وفي هذا المقام يقطع ذكر اللسان ويكون العبد محمواً في وجود العيان.  
وأنشد بعضهم فقال:

أيها الطالب معي حسنا      مهرا عالٍ لم يخطبنا  
جسد مصبى وقلب في العنا      وعبونا لا ندوق الوسنا  
وفواد ليس فيه عذرا      فإذا ما شئت أذ الثمنا



وافن إن شئت فناء سرمد  
واطلع التعلين إذا جئت إلى  
وعن الكونين كن منحصفا  
فإذا قيل: لمن قوى عقل  
فالبقا يدنى إلى فاك العا  
ذاك الحى فميه . قدسا  
وأزل من بيننا من يسا  
أنا أهوى ومن أهوى أنا

وقال الواسطي مشيراً إلى هذا المقدم العسوي في ذكره أشد عملة من الساسين  
لذكره، وهذا من باب حساسات الأبرار سيئت المقربين، وقد وصف الله قلب أم  
موسى بمعنى ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أَيْمُونَةَ فَنَرِيهَا ﴾ (١) من كل شيء  
إلا من ذكر موسى فكادت أن تبدى به من غير قصد منها لذكره ولا تندير بل  
كان تركها للتصريح بذكره صرا عما ربط الله على نفسها لتكون من المؤمنين.

تنبيه: ذكر الحروف بلا حصور ذكر اللسان، وذكر الحصور في القلب هو  
ذكر القلب، وذكر العيبة عن الحضور في المذكور هو ذكر السر، فأولى ما يكون  
الذكر أولاً باللسان ثم يستولى على القلب ثم يستغرق بالمذكور.

وقال:

ولما رفعنا للمستور بمجلس وضأت لنا من عالم العيب أسرارُ  
وطاقت علينا من هاك ملامة بطوف بها من حضرة الله حمارُ  
تحامر أرباب العقول بحسبها فتبدى لنا عمد المسرة أسرارُ  
فلما شربناها بأفواه كشفنا أضأت لنا منها شموس وأقمارُ  
رفعنا حجاب العبد بالقرب عمرة وجاءت إلينا بالبشائر أخبارُ  
وغبنا بها غنا ونلنا مرادها ولم يبق ما بعد ذلك آثارُ

وحاطبها في سكرنا عند صحونا كرم قديم فائض الجواد جاز  
 تجلي لنا حتى رأينا جهرة بعين فؤاد لا تواريه أشرار  
 قال العزالي: الذكر حقيقة هو استيلاء المذكور على القلب وانحاء الذكر في  
 الذكر لكر له ثلاثة قشور بعضها أقرب من بعض إلى اللب واللب وراء القشور  
 الثلاثة، وإنما فصل القشر لأنه طريق إليه فيقشر الأعلى ذكر اللسان فقط فلا يزال  
 الذاكر يوالي الذكر بلسانه ويتكلف استحصار لقلب معه حتى يحضر، ولو تركه  
 لاسترسل في أودية الأفكار حتى يشارك ثقلب اللسان، فعند ذلك غمضي الجوانح  
 والجوارح بالأنوار ويظهر القلب من دس لأعيار ويقطع الوسواس.

والذكر له مراتب، فيكون أولا باللسان ثم بالقلب ثم بالنفس ثم بالروح ثم  
 بالعقل ثم بالسرور، وورق الطاهر بحركة الأجسام، ورزق الباطن بحركة القلوب،  
 وورق الأسرار بالسكوت، وورق العقول بالعناء عن السكوت حتى يكون العبد  
 بينها كما مع الله، وليس في الأعدية قوة في الأرواح وإنما هي عداة الأشباح وقوة  
 الأرواح والقلوب.

### ذكر علام الغيوب:

قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (١) فإذا ذكرت الله بلسانك ذكر  
 مع لسانك الحمادات كلها، فإذا ذكرته بقلبك ذكر مع قلبك الكون وما فيه من  
 عوالم الله، وإذا ذكرته بروحك ذكر معك حملة العرش ومن طواف به من الملائكة  
 الكرويين والأرواح المقربين، وإذا ذكرت بسرك ذكر معك من موقوفهم من العوالم  
 إلى أن يصل الذكر بالذات العلية المقدسة منزلة.

تنبيه: إذا ذكر الشخص بلسانه ونظر بقلبه إلى الله ودام على هذا الوجه يحدث في أعضائه ومعاصيه نوع وسجع وبأحد في قلبه الوجدع مع قليل حرق. اللهم لا تحرق طالبك من هذا الوجدع، ووفقهم أن يشكروك عليه، وهذه الأوجاع مشوها أن الذكر يقطع الدت واحطوظ «بدي تمكث في قلبه وأعضائه وجوارحه أيام الغفلة، فيكون هذا بديية يعود الذكر في قلبه، فإذا زادت مواطبته على الذكر يصل أثر ذلك إلى الروح، فيذكر الروح ويجلس على سرير القلب بالخلافة، ويحكم على الخواص الظاهرة والبصنة فتعزل النفس، وتكون من دعايا الروح ثم يصل أثر ذلك إلى السر.

ومن خواص الذكر إذا دام المرید عليه أن يصمى أثره إلى جميع الأعضاء ويظهر تصرفه في الجوارح والأعضاء، فإذا وصل إلى عضو يحدث فيه ضربان، مثل ضربان العروق الناقضة، ويكثر الاختلاجات حتى لا يبقى منه جزء من لحمه ولا من عظمه إلا ويحد فيه حركة واختلاجات، وقد تقوى مع الملازمة على الذكر حتى تصبح أصواتا وكلاما، حتى يسمع البعد من جميع جوارحه وأجزائه أصواتا، بل يسمع من قلبه لله أسماء وأدكارا لم يسمعها قط من أحد، ولا رآها في كتاب، بعبارات مختلفة وألس متتابعة، لم يسمعها من قبل ولا آدمي.

وفي ذكر القلب والاستحصال يرد على الساكر أحوال يتوهم أنه يربو ويعظم حتى كأنه أكبر من كل شيء، ثم يرد عليه من الحق قهر من الخوف فيرجع لحاله الأول، وهاتنا يخاف عليه من النفس والشيطان فيقصر في الذكر بالتصريح فيرجع فتأخذ روزة قلبه في الاسداد كما أحدث في الانفتاح بالتدريج حتى تنبيه بالكسبة، فتكون تحت الفهر **﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ ﴾**

يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَغْنَىٰ ﴿١﴾ ومن عرف طريقاً ثم أعرض عنها عذبه الله عذاباً أليماً لم يعذبه أحداً من العالمين، وهذا يفتح من الامتناع من المشروع، إذ مثله مثل من كفر بعد أن آمن، فيجب على الطالب أن يكون ذكر الأم هذا نصب عينه ولا يصرف نفسه عنه طرفة عين، ويستوعب جميع أوقاته في الذكر، ويجتهد أن لا يخلو نفس من انغاسه من ذكر الله تعالى، ويتقرب إلى الله بأفضل الأعمال، وأفضلها عندهم أن يسلم نفسه إلى ذكر الله وبما به حتى يعيب عن جميع الأشياء، حتى عن نفسه، وعن الذكر بالمدكور وأنشد بعضهم فقال:

إذا لم يكن معنى حديثك لي يروى

ولا يهيجني نشي ولا كبدى يقوى

نظرت فلم أنظر [سواك] ألح

ولولاك ما طاب الهوى لى بهوى

ولما احتلاك العكر فى خلوة الرضى

وعايت قال الناس صلت بك الأهوا

لعمرك ما ضل المحب وما غوى

ولكنهم لما عموا أخطوا الفتوى

ولو شاهدوا معنا جمالك مثل ما

شهدت بعين القلب ما أنكروا الدعوى

علمت عذارى فى هواك ومن يكن

خلع يبع عذارى فى الهوى سره نجوى

ومزقت أثواب الرقاد تحتك  
عليك وطابت في محبتك الهوى  
فما في الهوى شكوى ولو مرق الحشا  
وعار على العشاق أن يظهرُوا الشكوى  
وما علموا في الحب داء سوى الهوى  
وعدى أسباب الهوى كلها أدوى

فإذا في الذكر عن حسه ودواعي نفسه ولم يبق فيه غير الله صار القلب بيت  
الحق، فيخرج الذكر من غير قصد ولا تدبر ولا كلمة، فحينئذ يكون الحق المير  
لسانه الذي يطق به، ويده التي يطرش بها، ورجله التي يمشي بها، وأذنه التي يسمع  
بها، قد استولى العلى الجواد على انموذ هملكه وعلى الجوارح فصرفها فيما  
يرضيه، وعلى الصفات من العبد فقلها كيف شاء في مرضاته، فذلك يخرج  
الذكر من غير تكلف، وتسهل الأعمال بالطاعات لذة وشاطأ.

ثم قال بعضهم في المعنى:

ولما تصافينا المحبة يسا فصرنا ومن هوى كشيء واحد  
لا رلت أقرب منه حتى صار لي بصراً وسمعاً حيث كنت وساعدي  
فإذا رأيت فلا أرى إلا به وإذا بطشت فلا يرال مساعدي  
إن شئت شاء وإن أمرت فأمره أمرى لقد بلغت كل مقاصدي  
فأنا الذي أهوى ومن أهوى أنا ما شاء يصنع حامدي ومعاندي  
فإذا لازم الشخص الذكر استبدل الذكر الإسى بالذكر القدسي، وترقى من  
صيق ادكروني إلى فضاء أدكركم، فيرداد بشرب عطشاً بالقرب من المذكور  
شوقاً إلى القرب منه.

وفي المعنى قال:

يزيد ظمآن كلما راد شربه من الحب فأعجب منه ظمآن بالشرب  
وأعجب منه قربه لحبيه يشفى ويرداد بالقرب اشتياقاً إلى القرب  
فلا الشرب يروى ولا القرب به إلا قلب بل يزداد كرباً على كرب  
وليس شعاء القلب إلا فناؤه بأحابه فاسلك به مسلك الحب  
وحيث لارم الذاكر هته في الذكر ولم ينتعت إلى الواردات ولا إلى الكرامات  
ولم يلاحظها نال المراد، وترد عليه علوم حتى يطمأن أنه فتح عليه العلوم الأولين  
والآخرين، فإذا لاحظ ما يرد عليه من العلوم فهو سوء أدب فيستحق العقوبة،  
وعقوبته في هذه الحالة أن يرد إلى حال المهم، والفرق بين حال المهم والعلم أن  
العلم وجود يرد على القلب من حيث العلم، والمهم نظر إلى ذلك العلم، فإذا نظر  
إلى المهم فقد أساء أدبه، وعقوبته أن يرد إلى حال العجلة.

ثم اعلم أنه لا يحصل لك المتح إلا بالتحلق بأداب الذكر لأن كل عادة خلعت  
عن الأدب فهي قلة الجدوى، وأجمع الأشياء على أن العبد يصل بعبادته إلى  
حصول الثواب ودخول الجنة، ولا يصل إلى حضرة ربه إلا أن صحبه أدب في  
تلك العبادة.

ومن المعلوم أن مقصود القوم القرب من حضرة الله الخاصة، المصطلح عليها  
عندهم، ومحالته فيها من غير حجاب، وأما الواب فتحكمه عندهم كحكم  
علف البهائم، قال تعالى: «أنا حليس من ذكرى» بمعنى ذكرى على وجه الأدب  
والحضور، وقال ﷺ: «أدبني ربي فأحسن تأديسي» والمراد بالمخالسة انكشاف  
الحجب للعبد أنه بين يدي ربه، عر وجل، وهو يراه ومطلع عليه فمضى أدام العبد  
هذا الشهود فهو حليس الله، فإذا غاب عن ذكر الشهود عرج من حضرة الله،

فأفهم، وليس المراد بحضرة الله مكاناً مخصوصاً في السموات أو في الأرض، كما قد يتوهم الضعفاء، فإن الله لا يحويه مكان، لا يمر عليه زمان، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وأشد بعصم في ذلك المعنى:

ولما تجلى من أحب تكرما      وأشهدني ذاك الجمال المعظما  
تعرف لي حتى تيقنت أنني      أراه بعيني جهرة لا توها  
وفي كل حال أحتليه ولم يزل      على طور قلبي حيث كنت مكلما  
وما هو في وصلي بمتمصل ولا      بمفصل عني وحاشا مهما  
وما قدر مثلي أن يحيط بمثله      وأبهر الثرى من رفعة البدر إتما  
أشاهده في صغر سري فأحتلي      <sup>جلا</sup> تعالى الله عن أن يقسما  
كما أن بدر التم ينظر وجهه      بضوء عزيز وهو في أفق السما  
وعد بعصم للذكر ألف أدب، لكن قالوا يجمع هذه الآداب كلها عشرون  
أدباً، فمن لم يتخلق بها فيبعد عليه المتع، فاعلم أن منها خمسة سابقة على الذكر،  
واثنى عشر حال الذكر وثلاثة بعد العز من الذكر.

فأما الخمسة التي هي سابقة على الذكر فأولها التوبة وحقيقتها الرجوع،  
يقال: تاب إذا رجع، وشرعاً: الرجوع إلى الله عن ما هو مدموم في الشرع إلى ما  
هو محمود فيه.

وشرطها الدم على ما عمل من المخالفات، والإفلاخ في الخبي، والعزم على  
أن لا يعود.

فإن تعلقت بآدمي اشترط عليه رد النظام إلى أهلها، وهي واجبة على العور.

قال تعالى: ﴿يَتَابِعُهَا الَّذِينَ آمَنُوا فُتُوبًا إِلَى اللَّهِ قُوتَةً تَصُوحًا﴾<sup>(١)</sup> وقال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

فالتوبة تمحو الذنوب وتقرب المحب من محبوب وتمحو ما قلها.

قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾<sup>(٣)</sup>.

وقال ﷺ: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له» وفي الخبر: «قل للظالمين لا يدكروني، فإن ذكرى عليهم وإن. أي. الذين م يتوبوا من الأقوال والأفعال والأحوال.

وزاد بعضهم في الشروط ترك حلال السوء، وهم الذين كانوا يعصون الله معهم قبلها

وقال ﷺ: «يحشر المرء على دين خليفته، فليحذر أحدكم من يخالسه» وقال ﷺ: «الحليس الصالح كصاحب المسك، إن لم يصبك منه أصابك من ريحه، والحليس السوء كصاحب الكبر، إن لم يصبك من سواده أصابك من دجانه».

وقال بعضهم: من جالس من صفة جره إلى صفة، فمن صحب أبناء الدنيا جذبوه إليها ومن صحب أبناء الآخرة جذبوه إلى الآخرة.

ثم قال:

|                            |                           |
|----------------------------|---------------------------|
| من عاشر الأشراف عاش مشرفا  | ومن عاشر الأنسال عير مشرف |
| أما تنظر أجلد الحقير مقبلا | بالعم لما صار جلد الملعوف |

(١) سورة التحريم آية ٨.

(٢) سورة البور آية ٣١.

(٣) سورة الفرقان آية ٧٠.



وقال أبو الليث السمرقندي: من جلس مع ثمانية ابتلى بشمانية.  
 ومن جلس مع الأحمياء راده الله حب الدنيا والرغبة فيها.  
 ومن جلس مع العقراء زاده الله الشكر والرضى بما قسم له.  
 ومن جلس مع الصبيان راده الله الحقر والمزاح.  
 ومن جلس مع النساء راده الله الحب والشهوة.  
 ومن جلس مع السلطان راده الله الكبر وقسوة القلب.  
 ومن جلس مع الفساق زاده الله تسويف التوبة والجرأة على الذنوب.  
 ومن جلس مع العلماء راده الله العلم والعمل به.  
 ومن جلس مع الصالحين زاده الله الرغبة في الطاعة والرهف في الدنيا  
 قلُّد بالصالحين عسى أن تهتدى إلى الطريق المبين.  
 وقيل: التوبة الرجوع من الأقوال والأفعال.  
 والأحوال: أقوال الألسنة، وأفعال حوارج، وأحوال العلوب، وإن شئت  
 قلت: أقوال المصلين وأفعالهم وأحوالهم، لأن أقوالهم حجاب، وأفعالهم نفاق وتباين  
 الصواب، وأحوالهم ذهاب تورث الفتنة ولذل والعذاب من الملك الوهاب.  
 وأما أحكام التوبة: فقلة الكلام، وقلة سام، وقلة الطعام، والعزلة بالقلب عن  
 الأنام، والمشى على شريعة غير الأنام.  
 وأما علامة التوبة: أن نجى ما كان عندك ميتاً، وتميت ما كان عندك حياً،  
 وتحضر من كان عندك غائباً، وتعيب من كان عندك حاضراً، تحيى القلب  
 بالترحم، وتميت النفس عن هواها، وتعيب أهل الدنيا ويحصر أهل الموت، وتراقبه  
 في كل يوم وليلة، وتحذف الدنيا حشف صهرك لأنها رأس كل خطيئة، فمن رجح

الذهب عن الربل فهو لا يصدق في توبته وكان ذو النون المصري يقول: من ادعى حلاوة الذكر مع محبة الدنيا فكذبوه.

والتوبة هي الرجوع إلى الله كما أن بلموت رجوعاً بعد الإرادة، لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ ﴿٢٨﴾ وَهُوَ الرَّجُوعُ مِنَ الذُّنُوبِ كُلِّهَا، والذنوب ما يحجك عن الله من مراتب الدنيا والآخرة، فالواجب على الطالب الخروج من كل مطلوب سواء حتى الوجود وما حوى، كما قيل: وجودك دس، لا يقاس به دنس، ولذا قال السيد البكرى: أستمع الله من دعوى الوجود، وقال: يا مالك الملك أفنى فيك وجودنا.

الثاني. من الشروط الطهارة الكاملة من غسل أو وضوء.

الثالث. السكون والكوت ليحصل الصديق في الذكر بأن يشتغل قلبه بالله ويقول: الله، بالمكر دون اللفظ، حتى لا يبقى له حاطر مع غير الله لخبر «إن الله عيور لا يحب أن يذكر ويذكر معه غيره»، ثم يتبع اللسان العذب

الرابع. أن يستمد عند شروعه بحمة شيعه بأن يشخصه بين عييه ليكون رفيقه في السير، لخبر: «خذ الرفيق قبل الطريق».

الخامس: أن يرى اسماءه من شيعه هو حقيقة من رسول الله ﷺ، لأنه الواسطة بينه وبينه، لخبر: «رحمة الله على علمائى» وهم الوسائط، وأما الاثنى عشر التي في حال الذكر أولها: الجلوس على مكان طاهر كجلوسه في الصلاة، الثاني: أن يضع راحتيه على ركبتيه، استحووا جلوسه للقلعة إن كان يذكر وحده، وإن كانوا جماعة يتحلقوا، لقوله تعالى: ﴿وَأَقْبِسُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا

تَمَرُّوا<sup>(١)</sup> الثالث: تطيب مجلس ذكر، وكذا الثياب، بالروائح الطيبة، لخبر: «تطيبوا فإن أحب الطيب، والله يحبه، وأحى جبريل» الرابع: للمليس الحلال التطيب ولو شراميط الكيمان، قال السيد السكري في الوصية: ومجلسه حلال، وأن يظهر باطنه بأكل الحلال، فإن الذكر، وب كان ناراً يحرق الأجزاء الناشئة من الحرام وبأكلها إذا كان الباطن خالياً من الحرام، والشبه تكون الفائدة أتم وأعظم في التوير، وأبلغ في إلقاء السور على السور، وعند ملاقات الحرام تذهب الإنارة في التطهير، الخامس: اختيار المكان المصلح إن وجد من حلوة أو سرداب، السادس: تعيين الميزان لتسد طرق الحواس الظاهرة بسدها تفتح حواس القلب الباطنة، السابع: أن يحيل شخص شيخه بين عيبه ما دام ذاكرًا وهذا عندهم من أكد الآداب، فإن استغنى عما تقدم من الشروط لا يستعنى عن هذا الشرط، لأن المرید يترقى به إلى الأدب مع الله والمراقبة، لأن من لا شيخ له إمامه الشيطان، الثامن: الصدق في الذكر من غير رياء ولا عجب، بأن يستوى عنده السر والعلانية لخبر: «الإثم ما كان في باطنك وكرهت أن تطع الناس عليه» التاسع: الإخلاص وهو تنقية العمل وتصفيته من شوائب الرياء، وبصدق والإخلاص يصل الشخص إلى مقام الصديقية لخبر: «ما دام العبد يصدق في حديثه حتى يكتب عبد الله صديقاً» العاشر: أن يختار من صيغ الذكر لا إله إلا الله، فإن لها أثر عظيم عند القوم لا يوجد في غيرها من سائر الأذكار، وهي المسماة بذكر الأم، فإن فنت أهويته وشهواته كلها فحينئذ يصلح أن يذكر الله بلفظ الخلاله فقط، من غير نص، وما دام يشهد من الأكوان فذكره بالعمى والإشارات واجب عليه في اصطلاحهم لأنها

مفتاح حقائق القلوب وتقى السالكين في علام العيوب، ومن الناس من اختار موالاة الذكر بحيث تكذب الكلمات كالكلمة الواحدة لا يقطع بينهما خلل خارجي ولا ذهني، كيلا يأخذ لشیطان منه، فإنه في مثل هذا الموضع بالمرصاد للذاكر لعلمه بصعب اسلك عن هذا الأدوية لا سيما إذا كان قريب العهد بالسلوك، قالوا: وهو أسرع فتحا لقب وتقريرا للرب، ويكون قصد الذاكر ذكره تهيئات ما في القرآن جميعا وتلاوتها، وقال بعضهم: تلاوة المد مستحسن مطلوب، لأن الذاكر في رسم المد يستحضر في ذهنه جميع الأصداد والأفراد ثم يجمعها، ويعقب ذلك بقول: إلا الله، فهو أقرب إلى الإخلاص وعلى الذاكر أن يعرف عقائد الأم وشروط صحتها.

الحادي عشر. استحصار معنى الذكر بقلبه على اختلاف درجة المشاهدة في الذاكرين، بشرط أن يعرض على شيخه كل شيء ترقى إليه من الأدواق ليعينه كيفية الأدب فيه.

الثاني عشر: معنى كل موجود من خلق حال الذكر، من القلب سوى الله، بقوله: لا إله إلا الله، فإن الحق تعالى غيور لا يحب أن يرى في قلب الذاكر غيره، ولولا أن الشيخ له مدخل عظيم وباب مستقيم في تأديب المريء ما ساع له أن يحيل شخصه بين عبيده، وإنما اشترطوا معنى كل موجود في الكون من القلب، ليتمكن لهم تأثير لا إله إلا الله بالقلب، ثم يسرى ذلك المعنى إلى سائر الجسد. ثم قال بعضهم في ذلك المعنى.

أناي هواها قبل أن أعرف الهوى      فصادف قلبا فارغا فتمكنا

وأجمعوا أن المريء يجب عليه أن يذكر بقوة تامة جدا واجتهاد بحيث لا يبقى فيه متسع، ويهتر من فرقه إلى أصع قدميه، وهي حالة يستدلون بها الأشياء على

أن المريد صاحب همه تامة فيرجى له الفتح عن قريته، إن شاء الله تعالى، وكل من ليس له بداية محرقة ليس له نهاية مشرقة، وإنما وجب على المريد الجهر في الذكر، مع ما ذكر، لأن السر والهويا لا يعيدان رقبيا، وقد جاء في الخير: «اذكر الله حتى يقولوا: بخنون» فيجب على المريد خلع العسر، وترك الناس وراء ظهره.

قالوا: ويجب على أن يصعد لا إنه لا الله بالقلب.

اللحمة الكائن بين عظم الصدر والمعدة، ويميل رأسه إلى الجانب الأيسر مع حضور القلب المعسور، وأن يحصر معنى لذكر كل مرة بقلبه، فإن كان العالب عليه ظهور البشرية والوسواس فعليه أن يقول بلسانه: لا إله إلا الله بقلبه، لا معبود إلا الله، ولصعاء القلب وطلب شيء من المعرفة والشوق والنوق فعليه أن يقول بلسانه: لا إله إلا الله، وبقلبه لا معبود إلا الله، ونسئ الخواطر كلها يقول: لا إله إلا الله، وبقلبه: لا موجود إلا الله، لمشاهدته له وليحذر من اللبس في لا إله إلا الله، لأنها من القرآن، قال تعالى: ﴿وَرَبِّكَ الْقُرْآنَ تَرِيْلًا﴾<sup>(١)</sup> وقال ﷺ: «رُب قارئ القرآن يلعبه» فهي كلمة من القرآن يجب تجويدها على تاليتها ومعرفة مبانيها ومعانيها، فيمد على اللام بقدر الحاجة، ويحقق بالهمزة المكسورة بعد، ولا يمد عليها أصلاً، ويفتح هاء «إله» فتحة حبيبة ولا يفصل بين الهاء وبين «إله» عليها أن تنهون في تحقيق همزة «إله» فأنت إذا لم تحققها قلبت ياء، وكذا همزة «إله» وتسكن آخر لفظ الجلالة، وسيأتي مرید تحقيق لذلك.

قال سيدي يوسف العجمي: وما ذكروه الأشياء من هذه الآداب للذكر محله في المريد الصالح المختار المكلف بالشرع، أما مسبب الاختيار فهو مع ما

يرد عليه من الأسرار والأدواق والسوامع والأنوار، فقد يجرى على لسانه الله الله، هو هو، أو لا لا، أو آه آه، أو عاءا، أو آه- آه، أو ربي ربي، أو بوا بوا، أو صوت بغير حرف أو اختيار، أو انصراف أو بكاء أو صراخ أو نحوه، فأدابه عند ذلك التسليم للوارد بتصرف كيف يشاء، فإذا انقضى من الوارد فأدابه السكوت من غير تعقل ولا تصح، مع السكوت ما استطاع، متلقيا للوارد، فهو تحت حكم الوارد لا تحت حكم نفسه وحظه. وقد تنفق هذه الأنواع للمريد الصادق في مجلس واحد فتقلب عليه أحوال الواردات، وهو ساكن لا يتحرك لشجاعته. وهذه الآداب ترمي الذاكر بلسانه مدة عمارة باطنه، أما الذاكر بقلبه فلا يلزم من ذلك شيء.

فإن قيل: الذكر مفرد أضع أو جماعة.

فالجواب: أنه مفرد أضع لأصحاب الخلوة، وجماعة أضع لمن لا خلوة له.

فإن قيل: هل الذكر جهرا أضع أو سرا.

فالجواب: الجهر أضع لمن عبت عليه البشرية والوبسواس والقسوة من

أصحاب البدايات، والسرا أضع لمن علت عليه الجمعية، وشاهد الوحدة في الكثرة والكثرة في الوحدة من أصحاب السلوك.

فإن قيل: إفراد لا إله إلا الله أفضل أم بربادة محمد رسول الله.

فالجواب: إفراد لا إله إلا الله أفضل لئلا يكبر حتى تحصل لهم الجمعية مع الله

بقلوبهم، فإذا حصلت فذكر محمد رسول الله معها أفضل.

وبيان ذلك أن محمدا رسول الله إقرار تكفي في العمر مرة واحدة، والمقصود

من تكرار التوحيد كثرة الجلاء للقلب فسرول الرن والشه والشرك الخفي ورؤية

الأغيار بكثرة التوحيد، فإذا زال ذلك حصلت له جمعية والمعية مع الله ورسوله،

من غير فرق، فيرى الوحدة ويرى فصلها لا غير، فيحصل له كمال المشاهدة، حينئذ يصلح ذكرهما معاً.

وأما الثلاثة الآداب التي عقب الذكر فأولها: أن يسكن إذا سكت، ويخشع ويحضر مع قلبه مترقباً لوارد الذكر، فعليه يرد عليه وارد فيعمر وجوده في لحظة أكثر ما تعمره المجاهدة والرياضة في ثلاثين سنة، وذلك أنه إذا كان الوارد وارد زاهد فيجب عليه التمهّل فيه حتى يتمكن فيه الرهس، ويصير بتنفس إذا فتح عليه شيء من الدنيا، عكس ما كان عليه أولاً، أو ورد عليه وارد تحمل أدى فيجب عليه التمهّل فيه حتى يتمكن ويستحكم ويصير إذا قام عليه الوجود كله بالآتي لا تتحرك منه شعرة كما لا يتحرك الجمل من صفح ناموسة، لأنه شاهد الأغيار أمثال أهواء في ذلك الوارد، ورأى الله لمكن قاعلاً، وهكذا من وارد علم وفتح وحب ومراقبة، بخلاف ما إذا لم يترقب حصول شيء من ذلك، فإنه لا يحصل له تحقيق بذلك المقام الذي أتى به الوارد، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾<sup>(١)</sup> فهذه المسكنة وقت إخراج الصدقات للفقراء والمساكين لا الأغنياء والمتكبرين، فإذا لم يكن عند الذكرين اشتياق وافتقار وطلب شيئاً لا يعطاه.

قال الغزالي وهذه المسكنة ثلاثة آداب: أن يستحضر العبد أن الله مطلع عليه وهو في قبضته وبين يديه.

وأن يجمع حواسه بحيث لا يتحرك منه شعرة واحدة كحال الهرة عند اصطهاد الفأرة، وأن ينمى الخواطر كلها ويمرر معنى الله الله على قلبه.

وهذه الآداب لا تتم المراقبة إلا بها.

ثانيها: أن يدرم نفسه مراراً من ثلاثة أنفاس إلى سبعة إلى أكثر بحسب قوة عزمه، وهذا كالجمع على وجوبه عند لأشياح حتى يندور الوارد في جميع عوالمه، فتور بصيرته، وبقطع عنه خواطر النفس والشيطان، وتكشف له المحجب.

ثالثها: مع شرب الماء عقب الذكر، فإن لذكر يورث حرقة وهيجاناً إلى المذكور الذي هو المطلوب لأعظم من الذكر، وشرب ماء يطفى تلك الحرارة. فليحرص الداكر على هذه الثلاثة آداب، فإن نتيجة الذكر لا تظهر إلا بها.

تنبيه: إذا كان الطالب يذكر مع جماعة وأراد أن يدخل مجلس الذكر فيسعى له أن يقضى مصالحه الشاغلة له عن المحصور في الذكر، ويلبس أحسن ثيابه، والأبيض أفضل، ويأخذ الطيب والسواك قبل خوضه ويكون على طهارة كاملة ويصحب شيئاً من العطريات في فمه رد لم يكن صائماً، إذا دخل محل الذكر وكان مسجداً صلى ركعتي التحية، فإذا لم يكن الذكر قائماً قبل بد استاده وسلم على إخوانه، ثم يجلس متأدياً مطرقاً صامتاً أو مشغولاً بالذكر سرا، وهو أكمل، وإن رأى الذكر قائماً قال في سره: دستور يا أهل الطريق، دستور يا أهل القدم، ودخل ثم أخذ في الذكر، وإذا أرادوا افتتاح الذكر أولاً استأذنوا بعلومهم أصحاب الطريق والقدم، بعد الإذن من الله ورسوله، ويأخذ في الذكر بسكينة ووقار وخشوع، بصوت متوسط على أهويها من غير تمطيط، وعليهم مراعاة الوفاق في الأصوات علواً وخفصاً، وتحسين قراءة لورد إن كان بالوقوف والسجعات، لأن في ذلك نشاطاً للنفس ولدة للروح وراحة للنفس وقهر للشيطان وقرار، ولا يكثر أحدهم الالتفات ولا يبحث بلحيته ولا يعب يده ولا بشيء من ثيابه، لأنه مجلس الله، عز وجل، فإن لعب وعيث طرد من ذلك المقام البادي، ولا ينظر بعضهم



بعضاً، لأنه مانع من الحضور، بل يغمص عييه، ولا بأس بالهرمياً وشمالاً، إن كان الذكر بالأم، بلا إله إلا الله، وإن كان بحلالة رفع رأسه إلى فوق، وضرب بصدره، كما يأتي، ويبقى أن يكون معشوقه مثل محرمه بمسح فيها ما يعرض له من بصاق وحموه، ولا يخرج من المجلس لذلك إلا أن يحصر بهول أو عائط أو ربح، وإذا أراد المتقدم عليهم أن يفتح لهم الذكر أو يسكنهم أو يرفع الذكر أو يحفظه لهم قال: دستور يا الله، بقلبه، وعليه أن يحذر من التمليط، والعجلة لشديدة لأها تخرج الذكر عن حده الشرعي.

والاقتصار في المجلس أولى من التطويل، إذا جلس إذا طال كان للشيطان فيه نصيب ما لم يحصل خشوع ولذة، فلا يقطع ذلك عليهم فإذا فهم ما بهم من الملك استأذن بقله وعظم بهم المجلس، فيقول: اللهم إن ذكرك لا يمل منه، وإنما عبيدك هؤلاء منهم الضعيف وهو الحاجة.

وأريد أن أحتم بهم فاد، وإذا قرأ القارئ أو قال الحادي شيئاً من كلام القوم أطرق رأسه كل منهم، وسكوا أعصاهم، وألقوا كليتهم لسماع ذلك، وأعرض حاله على ما يسمعه متأولاً ذلك بما يليق به، فإن رأى ذلك موافقاً لحاله حمد الله بقلبه، وإلا أحد في الاستعمار وطلب التوبة بالقلب، ولا يبهه ولا يتصعب ولا يهتز ولا يتأوه ولا يقول شيء لله ولا عذ يقول ولا يحو ذلك فإنه سوء أدب مع الله ورسوله، خصوصاً بحضرة الشيخ، وقد قال الشيخ شيء من ذلك فإنه لمصلحة أرادها فلا يُقْتَدَى به في ذلك ولا يقول مثل قوله، ولا ينمى للشيخ أن يقر أحداً على الصراخ بل يزجرهم عن ذلك كله، لا إن تحقق أنه عن غلبة قوية وحالة صادقة، ويحرصون أن يكون الذكر على ونيرة واحدة وطريقة مستقيمة، وليس لأحدهم أن يغير الطريقة من حذر في ترتيب وعكسه، مثلاً، بل حتى يرسم الشيخ أو المتقدم عليهم وكذا في الابتداء واحتم.



## الباب الثالث

في بيان الطرائق الموصلة إلى الله تعالى وأركانها  
وما يتعلق بذلك كله، وكيف السلوك  
إلى ملك الملوك حسب ما قالوه  
على الوجه الذي ذكروه



اعلم أن المراد بسوء الطريق تتبع 'لحلال' لشيء مكروه والعمل بها، والمريد الواصل إلى الله تعالى هو الذي تخلّى عن أوصافه الذميمة وتخلّى بالأوصاف الحميدة.

علاوَصاف الذميمة كالجهل والعصب والحقد والحسد والبخل والتعاضم والتذكر والعجب والغرور والرياء وحب الحياء والرياسة وكثرة الكلام والمزاج والتزين للناس والتعاهر والضحك وخيلاء والتفطع والتهاجر وتبغ العوارث والأمل والحرص وسوء الخلق، وكل ما غي عنه الشارع.

والأوصاف الحميدة كالعلم والحلم وصفاء السطن والكرم والتذلل والرفق والتواضع والصبر والشكر والرهء والتوكل والهمة والشوق والدوق والحياء والتعكر والشفقة والرحمة للخلق وأحب في الله والبعض لله والتأني في الأمور والبكاء والحرء وحب الخمول والعزلة وسلامة الصدر والصع وقلة الكلام والخشوع والخصوع وانكار العتب وحسن الخلق والتخلق بما ورد به الشارع من الصفات المحمودة، فإذا اتصف المرید بأوصاف انكمال وخلص من قبيح أفعال فهو التقى قد وصل إلى الملك المتعالى من أصحاب الأحوال الذين قطعوا المنازل والأهوال وترقوا مقامات الرجال، فهم المصف الطاهرة أصحاب الاستعدادات الكاملات والطباع السليمة الدين لا رعية هم في لدة الدنيا ولا في نعيم الآخرة قلوبهم متوجهة إلى ملبكهم لا يسكون إلا بذكره ولا يتقوتون إلا بتلاوة اسمه، فأول شيء يلزم مرید الطريق معرفة الله عز وجل بأن يعرف ما يجب في حق مولانا جل وعز، وما يستحيل وما يجوز، وكذا يجب عليه أن يعرف مثل ذلك في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام، ثم باب تطهارة والصلاة والصيام والتميم وما يحتاج له السير ثم يتعلم من القرآن ما لا بد منه ولا غناء في كل حال عنه مقتصرًا

منه على قدر الكفاية ترجع عن مذنب ويحدد توبة بشروطها المعتبرة وبطهر قلبه من نحو الكبر والعجب والحسد وسوء الظن متحققا بما يمكنه من أصول طريقة ومن ذلك إسقاط التدبير وكبحار التسليم والرحمة عن الله في كل ما يرد عليك من نحو فقر أو سقم أو إساءة ويقطع العن التي تنقص العمل وتنطله، والخروج عن الله والعلائق والتحقيق بالسنة قولاً وعملاً، ومن ذلك الملازمة على صلاة الضحى وصلاة الأوابين بين المغرب والعشاء وصلاة الليل والوتر والسنن الراتبة، وما دام في حال بدايته لا يعطر يوماً واحداً إلا لضرورة، ولا يأكل في اليوم واللييلة أكثر من مرة ولا يمكث ساعة من ليل أو نهار على حدث البتة وإذا مشى في الطريق لا يتعدى بصره محل القدمين ويرى ما في الطريق من الأدنى، ويبدأ بالإسلام، ولا يهجر من جماعه ولا يقطع في أعراض الناس ريث الثوب ذو حجب ويعين ذا الحاجات ولا يدخل الحمام إلا لضرورة لازمة ولا يدخل مداخل التهم، وعليه بصيانة عرصه، ولا يصلي المرحض إلا بجماعة في أول الوقت بأذان وإقامة ولا ينام الثلث الأخير من الليل، لأنه دأب الصالحين، ولا ينام ليلة الجمعة مطلقاً بل يحياها بقراءة الكهف والصلاة على النبي ﷺ، ويتحمل الأدنى من الناس كما تحملت الأولياء والأسياء من قبله، ولا يؤدي هو أحداً، ولا يدعو على أحد، بل يعوص أمره إلى الله، كأن ما أحداً أداه، ولا يصنع عمامته تحت رأسه، ولا يفرش ما يوضع على الكتف تحته، ولا يبول في غير المعد نقضاء الحاجة حيث وجد غيره، وما يعد للعبادة، يتره عن أحوال العادة، ولا يرمى سبحة بالأرض، بل يعلقها في عنقه أو على وتد وإن كان له كسب حلال لزمه القيام به لنفسه وعياله، ولا يعمل فوق كفايته، ولا يقصد التصديق بما راد عنه، بل سلامة الدين مقدمة على ذلك، ويتورع عن كل ما فيه شبهة، وإذا كثرت منه العبادة واشتهر أمره بالصالح

وكثير الناس عليه بالزيارة والتبرك به قس كعبه وبلوغه الطريق لزمه الفرار منهم،  
ويعمل على الخمول، ويحرص أن لا يعرف حبه غير ربه، ولا يجيب دعوة أحد إلا  
أن تكون واجبة، ولا يروى أحداً ولا يأكل من وليمة مطلقاً، وإذا أكل ما فيه  
شبهة استمأء، ولا يرم أن لا يُرى إلا في المسجد، أو عيادة مريض، أو جنازة، أو  
ما كان فيه نفع له وللمسلمين، وعليه أن يقدم مصالح الناس على مصالح نفسه  
المندوبة، ويجعل أصله الذي بنى عليه عمه دوام الشهود، وتوحيد الأفعال بأن  
المحرك والمسكن هو الله، والتحقيق بادل ولعجر والانكسار وملازمة الخشوع  
والخضوع والدموع وصدق الولوع بشدة طلب، وإثارة المجاهدة ويزال كذلك  
والله يؤيده ويهديه ويوفقه إلى ما يرضيه.

ثم اعلم أيها الطالب للأشراف على منازل الأشراف والاطلاع على حقيقة  
نفسه والتطهر من وابل مدد فيض قدسية أن القوم يهوا الطريق على أربعة أركان:  
الجوع والسهر والصمت والعزلة، فلا وصول إلى الله بغيرها.

وقد نظمت ذلك في قول بعضهم:

إن الطريق لها أركان واجبة      فلا وصول بغير الركن للرجل  
فهاكها أربعاً قالت مشايخنا      جوع وسهر وصمت عزلة فعل  
وزاد بعضهم على ذلك أربعاً أيضاً: دوام الذكر، ودوام الفكر، ودوام الطهر،  
وربط قلب المريء بالأستاذ، وهذا من أكد لأركان والشروط عند القوم.

ونظمها شيخ شيخنا السيد الكرى فقد:

شروط طريقنا المرصى عدت      ثمانية فلازم من حواها  
ولاظم وردها والمض بهرم      لترقى في مراقى من عناها  
وتصبح واحداً في الناس فرداً      جليلاً من سنا باهى سناها

فقل. صمت وجوع ثم السفر      سبل الوصل. كى يحيى جناها  
دوام طهارة ودوام ذكر      ونقى خواطر فارقى ذراها  
وربط مرید ذو قلب وجد      بقلب الشيخ فاحذر ما ساءها

فأول الأركان المذكورة الجوع، وهو أعظمها، لأن غيره ينشأ عنه، على حد قوله ﷺ: «الحج عرفة» والجوع أساس كل خير قال ﷺ: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فصيفوا مجاريه باحرق والعطش، فإن الأجر في ذلك كأجر الجهاد في سبيل الله» وقال ﷺ: «أصصكم عند الله منزلة أطولكم جوعاً وتفكيراً، وأبعضكم عند الله تعالى كل أكل يوم شروب» وقال ﷺ: «سيد الأعمال: الجوع، ودل النفس لباس الصوف» وقال ﷺ: «لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب، فإن القلب كالزرع يموت إذا كثرت عليه الماء» وعن المقداد بن معديكرب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه، يحسب ابن آدم أكيالات يقصر بها صلبه، فإن كان ولا بد فثلث للطعام، وثلث للشراب، وثلث لنفسه» وقال ﷺ: «جوعوا تصحوا» وقال القشيري: لا شيء صرُّ على الآخرة من الأكل، ولا أسمع له من الجوع، ولا شيء أفضل من مخالفة الهوى في ترك الحلال، وأن الله يعص من الحلال شئير الطلاق والشبع، وعن بعضهم: من جاعت نفسه انقطع عنه الوسواس، وعن بشر الحارث قال: الجوع والعطش يورثان صفاء القلب، ويميتان هوى، ويثمران العلم الدقيق، وقال سليمان الداراني: مفتاح الدنيا الشبع ومفتاح الآخرة الجوع، وقال بعضهم: لمن تركت لقمة من عشائي وأنا محتاج إليها خير من قيام ليلة إلى الصباح، وقال بعضهم: كل الخبز بمجموع في عزائم الجوع، وقال لقمان لانه: يا بني إذا امتلأت المعدة نامت المكرة، وحرس لسان الحكمة، وقعدت لأعضاء عن العبادة.



وقال إبراهيم بن أدهم: خدمت ثلاثمائة وى، وكل منهم يوصيى بأربعة أشياء: أحدها: من أكثر من الأكل لم يجد لطاعة الله لذة، ثانيها: من أكثر من النوم لم يجد في عمره بركة، ثالثها: من أكثر من محالطة الناس لم تقم له عند الله حجة، رابعها: من أكثر من الوقوع في أعراض الناس لم يخرج من الدنيا على التوحيد.

وقال يحيى بن معاذ: في نصر ابن آدم ألف غصن من الشر، كلها في يد الشيطان، فإذا جوع بطنه وأخذ حدره وريص نفسه يس كل عصف واحترق بهار الجوع، وفر الشيطان منه، وقال رجل لابن بشر علمى العبادة، فقال: أأست نأكل؟ قال: نعم، قال: كيف تأكل؟ قال: أكل حتى أشبع وأكفى، قال: هذا أكل الهائم معدومات العقول، اذهب عني وتعلم لا أكل ثم تعلم العبادة.

وللشيخ أن يعامل الكاملين معاملة السالكين بالجوع وإن لم يكن يلزم للمحققين فهو مورثهم أسراراً عليّة، وأما سالكون فهو عليهم كالأمر العرصة، قال بعضهم: لو وجد المرشد الجوع في السوق لوجب عليه أن لا يشتري عمره، مثل بعضهم: هل يجد الطب في كتاب الله تعالى؟ قال: نعم، قد جمع الله الطب كله في آية واحدة بقوله: ﴿وَصَكُّنَا وَأَشْرَبْنَا وَلَا تُشْرَبُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ <sup>(١)</sup> يعنى أن الإسراف في الأكل يتولد منه الأمراض والأوجاع.

ويقال: في كثرة الأكل ست حصال: الأولى: يذهب خوف الله من القلب، الثانية: يذهب رحمة المخلوقين من الثالثة: يثقل الطاعة على البدن، الرابعة: إذا

سمع كلام الحكمة لا يرق قلبه ولا يؤثر فيه خوف الله، الخامسة: إذا تكلم بالوعظ لا يقع في قلوب الناس، السادسة: يهيج لأعراض.

وقال بعضهم: فوائد الجوع ثلاث عشرة فائدة: صعاء القلب ورقته، والاستلداد بذكر الله وعاداته، وسكسار الشهوة، وذكر جوع جهنم، وتيسير المواظبة على العبادة، ودفع النوم والشيطان والمراغ من قصاء الحاجة الإنسانية، ودفع الأمراض الشائعة عن الطاعة وخفة المؤونة والاكتفاء بالقليل وإمكان الإثارة بالفاضل وإيقاع الوعظ في قلب السامع

وأوصلها بعضهم إلى خمسين دائدة، والمطلوب من ذلك الحالة الوسطى بين الإفراط والتعريط ولذلك قالوا بتقليل الطعام ولم يقولوا بترك الطعام، فيكون قدر ثلث البطن وأقل، قال عليه السلام: «ثلث للطعام فمى رد عما يأكل من حسائنه والدفع في الطريق أن لا يأكل المرید حتى يجوع وإذا أكل لم يشبع وإذا كان في وقت العداء شبعانا فلا يتعشى، وإذا تعشى لم يتغلبوا، وقد رأى النبي صلى الله عليه وآله عائشة وهي تأكل مرتين في اليوم، فقال لها: «أنت يا عائشة م تحدى لك شعلا غير بطك، يا عائشة الأكل مرتين في اليوم إسراف، والله لا يحب المشرفين» فخرجت عما كانت عليه فالمطلوب عند انقوع تغلب الطعام وترك ألون الطعام فلا يجمع بين آدمين أبداً، وقد تعسر الحالة الوسطى على المستدى فلا تطاوعه نفسه أن يفعل ما ذكرناه لألفة ما هي عليه من الخطوط، بحيث يجتهد على المرید ظلمها والتعدي عليها بأكل حقها المسلوب لها حتى ترضى بالدى ذكرناه، وذلك بأن يقلل الأكل بالكلية ويحملها ما لا تطيق من الأعمار الشاقة، وإن كان هذا خارجاً على الإنصاف إلا أنه يفعل ذلك لأجل إصلاحه ورجوعها للحق طوعاً أو كرهاً، ولما كل الشرعى قال ابن الفارض مشير إلى هذا المقام:

ونفسى كانت قل لومة متى أصعها عصت وأعصى كانت مطيعتى فأوردتها ما الموت أيسر بعصه وأتعبتها كيما تكون مريحتى فعادت ومهما حملته تحملت مى وإن خمت عنها تأذى وقد حقق شروط الجوع سيدى محبى ندى بن العربى فقال: الجوع جوعان: جوع اختياري وهو جوع السالكين وجوع اضطررى وهو جوع المحققين فإن المحقق لا يجوع نفسه بل يقتل أكله، إن كان فى مقام الأنس، وإن كان فى مقام الهية كثر أكله، وكثرة الأكل للمحققين دليل على صحة سطوات أروار الحقيقة على قلوبهم، بحال العظمة من مشهودهم، وقلة الأكل منهم دليل على صحة الحادثة بينهم بحال المراساة من مشهودهم، وكثرة الأكل للسالكين المتدينين دليل على بعدهم من الله وطردهم عن مائه <sup>رامتيلاء</sup> <sup>التمس</sup> الشهوانية البهيمية بسلطانها عليهم، وقلة الأكل لهم دليل على <sup>السفحات</sup> <sup>الإلهية</sup> والجوع بكل حال ووجه سبب داع للسالك والتحقق إلى بيل عظيم الأحوال من السالكين والأسرار للمحققين ما لم يفرط فإن أفرط أدى إلى اهوس وذهاب العقل وفساد المزاج اللهم اكفنى شر الجوع ودواعيه المهلكان للدين وندى يا رب العالمين.

واعلم أن لا سبيل للسالك إلا الجوع مطلوب تيل الأحوال إلا عن أمر شيع يرضيه وأما وحده فلا سبيل إلى ذكره ثم قل ولنجوع حال ومقام عظيم فحاله الخشوع والخضوع والمسكنة والدل والانكسار وعدم الفصول وسكون الجوارح وعدم الخواطر الرديئة والوسواس وهذا حال جوع السالكين وأما حال جوع المحققين فالرأفة والصفا والمؤانسة والتزهر عن الأوصاف البشرية بالعمة الإلهية الصمدانية.

فهذا فائدة جوع صاحب الحمة لا جوع لعامة فإن جوع العامة إذا جاعوا يكون لصلاح المزاج وتنعم البدن بالصحة لا غير، فتدبر كلام الأستاذ في هذا المقام تبلغ المرام ويسمى أن يكون الجوع المذكور صومًا بالوجه الشرعي لأن الصوم منير للعبادات ومفتاح الطاعات والقربات.

قال حجة الإسلام، في بداية الهداية: لا ينبغي للشخص أن يقتصر على صوم رمضان فيترك التجارة بالسواحل فيحرم العتبة في لترقى ويحرم درجات الفردوس، فيتحسر إذا نظر مقام الصائمين، وهم كالكوكب في أعلى عليين وليكثر منه ما استطاع، قال ﷺ: يقول الله تعالى: «كل حمة بعشرة أمثالها إلى سعمالة صعب، إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به».

وقال ابن الجوزي في روض الصائمين وروح القائمين عن عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: «الصيام والقرآن يشفعان في العبد يوم القيامة، يقول الصيام: يا رب سمعت الطعام والشهوة، فشمعني فيه، ويقول القرآن سمعت النوم بالليل فشمعني فيه، فيشفعان» رواه الطبراني، وقال ﷺ: «الصيام حمة وحصن حصين من النار» وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «اعزوا نغموا، وصوموا تصحوا، وسافروا تستعوا» رواه الطبراني، وقال ﷺ: «لكل شيء ركاه، وزكاة الجسد الصوم، والصيام نصف الصبر» رواه ابن ماجه، وعن أبي أمامة الباهلي قال: قلت: يا رسول الله مري بعمل، قال: «عليك بالصوم فإنه لا عدل له» رواه السفي، وفي روايه الترمذي قال: قلت يا رسول الله مري بشيء يمعني الله به، قال: «عليك بالصيام، فإنه لا مثل له» وفي رواية: دلي على عمل أدخل به الجنة، قال: «عليك بالصيام، فإنه لا مثل له» فكان أبو أمامة لا يرى في سنة الدخان عارًا إلا أن يتزل بها صيف، وقال ﷺ: «من في الجنة بأبها يقال له: الريان،

يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخ من أحد غيرهم» وقال ﷺ: «إن للصائم عند فطره دعوة ما ترد» وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ بعث أبا موسى على سرية في البحر فبيما هم كذلك وقد رفعوا الشراع إذ هتف بهم هاتف يا أهل السفينة ففروا حتى أبحركم بقضاء الله، قصي الله على نفسه أنه من عطش نفسه الله في يوم ما كان حقاً على الله أن يرويه يوم القيامة، فكان أبو موسى يتوخي اليوم الشديد آخر الذي يكاد يسلمح جمرًا فيصومه، وعن حذيفة رضي الله عنه: أسدت النبي ﷺ إلى صدرى و مرصه فقال لى: «من قال: لا إله إلا الله، وعظم له بما دخل الجنة» وفي رواية: «يا حذيفة من عظم له بصيام يوم يريد به وجه الله أدخله الله الجنة» وقال ﷺ: «ثلاثة حق على الله أن لا يرد دعوتهم: الصائم حتى يفطر، والمطلوم حتى يتصم، والمسافر حتى يرجع».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ من صام يوماً في سبيل الله ربح الله عن وجهه النار سبعين خريفاً، والمراد بسبيل الله: ابتغاء وجه الله، وقيل: الجهاد لله، وفي رواية: «من صام يوماً في سبيل الله في غير رمضان بعد من النار بمائة عام مسيرة الجنود المضمر» رواه أبو يعلى، وصوم الدهر سنة لمن يطيقه، ولم يترك بسببه حقاً عليه، إلا صام وأفطر، لما روى عن عبد الله بن عمر وقال: كنت أصوم الدهر وأقرأ القرآن كل ليلة فأرسل إلى النبي ﷺ فقال لى: «ألم أبحر أنك تصوم الدهر، وتقرأ القرآن كل ليلة؟» فقلت: بلى يا رسول الله، وم أرد بذلك إلا الخير، قال: «إن محسبك أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام» فقلت: يا رسول الله إني أطيع أفضل من ذلك، فقال: «إن لروحك عيباً حقاً ولجسدك عيبك حقاً فأعط كل ذى حق حقه فصم وأفطر وأنت أهيك» ثم قال: «فصم صوم داود بنى الله فإنه كان أعبد الناس» قال: فقلت: وما صوم داود يا بنى الله؟ قال: «كان

يصوم يوماً ويمطر يوماً، واقرأ القرآن في كل شهر» قلت: يا رسول الله إني أطيق أفضل من ذلك، قال: «اقرأه في كل عشرين» قال: إني أطيق أفضل من ذلك، قال: «اقرأه في كل عشر» قال: يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك، قال: «اقرأه في كل سبع ولا ترد على ذلك، فإن لروحك عليك حقاً، ولربك عليك حقاً، ولجسدك عليك حقاً» وقيل: الصائم نومه عبادة، ونفسه تسبيح، ودعاؤه مستجاب، وعمله مصاعف، وقال بعض السلف: الصلاة توصل صاحبها إلى نصف الطريق، والصدقة تأخذ بيده فتدحه إلى الملك، والصيام يبلعه إلى أعلى الدرجات، وقال بعضهم: يقال للصائمين يوم القيامة: كلوا فقد جعتم حين شبع الناس، واشربوا فقد عطشتم حين روي ندى، واستريحوا فقد تعبتم حين اسراح الناس، فياكلون ويشربون والناس في هول الموقف، وروى بعضهم في تفسير قوله تعالى ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَيْئًا بِمَا أَمْلَلْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الدَّالِيَةِ﴾<sup>(١)</sup> أنها أيام الصوم، قال الشلي رحمته كنت في قافلة، فطلع عليها عرب فأحدوا العافلة فمررت عليهم وهم يأكلون من متاعها، ورأيت كبيرهم وانقسم عليهم لا يأكل وامتنع من ذلك، فسألته عن ذلك فقال: إني صائم، فقلت له: لم تقطع الطريق وتصوم؟ قال: إني تركت للمصلح موصعاً بيني وبين ربى، ثم بعد مدة رأيت في المطاف وهو طائف فوق رعوس الناس، فقلت: هو؟ قال: نعم، انظر يا شبيبى كيف الصيام أصلح بيني وبينه، ثم أنشد فقال:

|   |                                       |
|---|---------------------------------------|
| أفْلَحَ الزَاهِدُونَ وَالْعَاسُونَ        | إِذْ لَوْلَاهُمْ أَجَاعُوا الْبَطُونَ |
| أَسْهَرُوا الْأَعْيُنَ الْقَرِيحَةَ فِيهِ | فَمَضَى لَيْلَهُمْ وَهُمْ سَاهِرُونَ  |

حرقتم محبة الله حتى حسب الناس أن فيهم جنونا  
لم يرتدوا عن باه من براح قد شجاهم بعشقه يعرفونا  
وينبى أن يكف لسانه في لصوم عن الحرام كالعيبة والتميمة، والأيمان  
الكاذبة والطعن في أعراض الناس.

وبالجملة كل ما تركه الناس وتركه، وصون النظر عن المحرمات، فقد ورد  
في الخبر: «خمسة يطرئون الصائم: الكذب ونعية والتميمة والأيمان الكاذبة والنظر  
إلى المحرمات بشهوة» والمراد بإبطال الثواب والشنم والسب كذلك، وقال عليه السلام:  
«إنما الصوم حجة، فإذا كان أحدكم صائماً فلا يرمث ولا يجهل، فإن أمرؤ قاتله أو  
شائه فليقتل إنى أمرؤ صائم» ولا نظير أن «صوم ترك الطعام والشراب والوقاع،  
بل لمامه كف الخوارج كلها عما يكره الله، فقد قال عليه السلام: «كم من صائم ليس له  
من صيامه إلا الجوع والعطش» ثم اجتهد أن يعطر على طعام حلال ولا تستكثر  
فتريد على ما تأكله في عارك عند فطرك كل ليلة لأجل صيامك فلا فرق أن  
تستوفي ما تأكله دفعة واحدة أو دفعتين، وإنما المراد كسر شهوتك لتقوى على  
العادة، فإن أكلت عند فطرك ما تعتاده في عدم صومك فلا فائدة في صيامك،  
وتثقل عليك أعضاؤك، وتفتت عن العادة. وما من وعاء» أبصر إلى الله تعالى من  
بطن ملئت من حلال.

قال شيخنا البكري: ولا يدرك أيها السالك مع ذلك من الرياضة، وهي  
التخلق بالأخلاق الحميدة والصبرات القربية والاسلاح من الأوصاف الدائمة  
النفسانية الشيطانية، وأما إذا كان مجرد جوع أو طمأ فليس. لله حاجة أن يدع  
طعامه وشرابه، والرياضة خلق من الأخلاق الصمدانية فلذا قال في الصوم:  
«الصوم لي» ولأن ما جوع يملك مريد نفسه بعد أن كانت مألوفة له، فإنها ما

اهتدت ورجعت إلى الله<sup>٢</sup> إلا بعد أن ألفيت في بحر الجوع مراراً، فإذا جوعها الطالب تذكرت العهد السابق فترجع مقددة بعد الإبابة، دليلاً بعد العزة والغواية، فإذا كان الجوع والظما من أعظم المحامدة للنفس، فكان ينبغي أن يكون ذلك بالتدريج شيئاً فشيئاً وكذا بركة للماء حتى إن بعضهم يرن عداؤه كل ليلة عند الفطر ويقص منه درهماً أو أكثر إلى أن يصل عداؤه في اليوم واللييلة إلى عمرة أو زببة أو لوزة وتكفي بها المعدة الإساسة وتقضي حاجتهم بذلك، ولا يتضرر الجسد من ذلك وبعضهم يزن عداؤه بحشة حمير حصراء ويقص كل يوم بقلر ما يشف منها، فإذا نشبت أحد ثقلها حصرة، وفعل ما تقدم، وهكذا حتى يشمرن على ما تقدم، وكذا الماء حتى يصير بمكث الأيام الكثيرة لا يشرب.

وقال بعضهم: إذا أردت أن تعرف هل بمكث تقدر على الزهد في الدنيا وإلا فلا، فارهد في الماء، قال: قدرت على ذلك قدرت على الزهد في الدنيا.  
قال بعضهم في ذلك المعنى آياتاً للماعد ليصور:

|                                |                            |
|--------------------------------|----------------------------|
| تركت فضول النفس حين رددتها     | إلى دون ما يوصى به المتعفف |
| وأملت أن أجرى حقيماً إلى العلا | فإن رمت أن تلحقوني فجمعوا  |
| لا أستبدلن النفس حتى أصوبها    | وتفاد لبطاعات حقاً وتعرف   |

قال بعضهم: اعلّموا ألسنا جربنا العطش فوجدناه من الشهوة الكاذبة، وجربه غيرنا فوجدناه كذلك، وإذا دفع الشخص نفسه في شرب الماء تركته واكتفت وقعت الطبيعة الإنسانية بما تستمد من الرطوبات التي في العدا والانتقام إليه ولا تشتهي، وعلامة صحة الرياضة أن يحدث الله للعبد في إحدى أسنانه أو لسانه عيباً من ماء، تجرى من فيه إلى أن يروى، وهذا كنه تابع لصدق المرید في طلبه وعشقه وحمته في بلوغ أربه، والله ولي الهداية والتوفيق.



الركن الثاني: السهر، وهو قسمان: سهر بقلب، وهو يقظته من نوم العملة، والقرب من مآزل المشاهدة، وسهر العين لتعمر الوقت ولدوام الترقى في المنازل العلية، لأن بنوم العين يطل عمل القلب، فعائدة السهر عمل الطلب وهو ينشأ من فراع المعدة من فضولات الطعام والشراب وهو يورث معرفة النفس، ويبغى أن يكون ذلك بالتهجد، وهو لعة رفع النوم بالتكليف، وشرعاً صلاة نفل بليل بعد يوم، وقد ورد الحث في الكتاب والسنة على قيام الليل في الأسحار، والوقوف في تلك الأوقات بين يدي الملك الجبار، فمن دلت قوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ بِحَمْدِهِ تَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّخْمُومًا﴾<sup>(١)</sup> وقال تعالى: ﴿قُرْ الْبَيْتَ إِلَّا قَلِيلًا﴾<sup>(٢)</sup> الآية، وقال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾<sup>(٣)</sup> وقال ﷺ: «عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم» وقرينة إلى الله تعالى، ومنهاة عن الإثم، وتكفير للسيئات، ومطردة للآساء عن الجسد» وقال ﷺ: «ركعتان في حروف الليل يركعهما ابن آدم يحمر له من الذهب وما فيها، ولولا أن أشق على أمتي لمرضتُهما عليهما» وقال ﷺ: «أفضل الصلاة نصف الليل وقليل فاعله» وقال ﷺ: «أتاني جبريل فقال لي: يا محمد، عش ما شئت فإنك ميت، وأحب ما شئت فإن معاركه، واعمل ما شئت فإنك مجرئ به، وعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل، وعزه استغضاله عن الناس» وقال ﷺ: «أفضل صلاة الليل على صلاة النهار كفضل صدقة السر على صدقة العلانية» وقال ﷺ: «من بات في خمة من الطعام والشراب يصلي تباركت حوالبه أحور العين حتى يصبح» رواه الطبراني، وقال

(١) سورة الإسراء آية ٧٩.

(٢) سورة المزمل آية ٢.

(٣) سورة السجدة آية ١٦.

ﷺ: «من صلى بالليل حس وجهاً بالهارة» وقيل للحس البصرى: ما يال  
المتنجد من أحسن الناس وجهاً؟ قال: لأهم خلوا بالله وواجهوه والناس نيام  
فالبسهم نوراً من نوره، وروى أن في حنة عرفاً يرى طاهرها من باطنها، وباطنها  
من طاهرها، أعدها الله لمن ألان الكلام، وأطعم الطعام، وتابع الصيام، وصلى  
بالليل والناس نيام، وقد اجتهد السلف الصالح في قيام الليل، فكان عثمان بن  
عمران وغيره يصوم النهار ويقوم الليل إلا صجعة أوله، وكان يقرأ القرآن في  
ركعة، وكان عبد الله بن عمرو بن العاص كذلك، فجاء أبوه لزوجته فقال لها:  
كيف وجدت بعلك؟ فقالت: خير أرحال، لم يمس لنا كساء، ولم يعرف لنا  
فراشاً، وكان صهوان بن سليم عاهد الله أن لا يصع حبه الأرض، فلما برل به  
الموت قيل له: يرحمك الله أن لا تصع حبك على الأرض ترثاح؟ فقال: لا أنقص  
عهد الله، فاستند إلى الخائط وما زال كذلك حتى خرجت روحه، وروى أن الله  
تعالى يباهى بقوام الليل الملائكة، بقول: انظروا إلى عبادي، قد قاموا في جمع  
الظلام حتى لا يراهم غيري، أشهدكم بما ملائكتي أني قد أبحثهم دار كرامتي، وقال  
بعضهم: إذا جن الليل بظلامه يقول الله لجبريل: يا جبريل حرك أشجار المعاملة،  
فإذا حركها قامت القلوب على باب المحبوب.

وأشيد بعضهم:

إذا ما الليل أظلم كاندوه      فيسهر عنهم وهم ركوع  
أطار الخوف نومهم فقاموا      وأهل الأمن في الدنيا هجوع

وقيل: أوحى الله إلى بعض الصديقين: إن لي عادداً يحبون وأحبهم، ويشتاقون  
إليّ وأشتاق إليهم، ويذكرونني وأذكركم، فقال: يا رب ما علامتهم؟ قال: يراعون  
الظلام بالنهار كما يراعى الراعى عمنه، ويحبون إلى غروب الشمس كما تحب

الطير إلى أوكارها، فإذا هجم الليل وأقبل الطلام وحل كل حبيب بحبيبه صفوا إلى  
أقدامهم واقتربوا إلى وجوههم، وناجوني بذكرى وكلامى، وملتقوا إلى باعامى،  
فمهم صارح وبك ومتأوه وشاكر، ومهم قدّم وراكع وساجد، فأول ما أعطاهم  
ثلاث خصال:

الأولى: أن أقذف في قلوبهم نوراً من نورى.

الثانية: لو كانت السموات والأرض في موريهم لاستقلنتها لهم.

الثالثة: أقبل بوجهى الكريم عليهم، أهدى من أقبلت بوجهى الكريم عليه لو  
يعلم أحد ما أريد أن أعطيه ما أمل.

وأنشد بعضهم في ذلك المعنى فقال:

طوبى لمن سهرت بالليل عيائه      وبات في قلق في حب مولاه  
وقام يرعى بحوم الليل مفردا      شوقاً إليه وعين الله يرعاه

قال مالك بن دينار: كان لى ورد أقرؤه كل ليلة، فسمت عنه ولم أقرأه، فبيما  
أنا في المنام وإذا بجارية أحمل ما يكون وجهها يتلأأ نوراً وفي يدها رقعة مكتوبة،  
فقلت: أحسن أن تقرأ؟ قلت: نعم، فدعمت لى الورقة فإذا فيها، شعر:

ألحقتك اللدائد والأمانى      عن الحور الحسان في الجنان  
تعيش معما لا موت فيها      وتلهر في الجنان مع الحسان  
تنبه من منامك إن عيرا      من الوم التهجد بالقرآن

وقال معروف الكرخي شيحاً: قمت ليلة فصلت ما شاء الله ثم نمت، فرايت  
جارية وجهها كاليدّر ليلة غمامه، فقلت لى: تمام ومثلى يُرثى لك في الجنة، ثم  
تبسمت في وجهى، فأضاء البيت من نور وجهها، فقلت لها: بم نلت هذا الجمال؟  
فقلت: تذكر الليلة القلانية التي قمت فيها ونوصأت وصليت وبكيت من خشية

الله تعالى، في محرابك، وجمعت إلى فطرة من دموعك فمسحت بها وجهي فصير  
الله نور وجهي لك كما ترى.

وأشد قائلاً لعطن السيب:

يا عاشقاً للغواني الخور م تدر دار العرور يعيش شيب بالكدر  
إن الغواني الحسان الخور مسكنها دار السرور على فرش على سرور  
يشاهد الملح في الساقين باطرها من فوق سبعين مبوساً من الخير  
قد هم شوقاً إلى أرواحهن كما يشاق للعائب المحبوب في السفر  
وعن الشيخ أبي الحسن عليه السلام قال كان بخاري شاب يصوم النهار ويقوم  
الليل، فجاء يوماً وقال: يا أستاذ قد تمت الليلة عن وردي فأريت كأن محرابي  
انشق وخرج من المحراب حوار كأنني الأقمار، لم ير الرائي أحسن منهن مطراً،  
فقال: قلت: لمن أنت؟ فقلن عن ثواب ليالك التي مهت للاجتهاد والعبادة ثم  
أريت عيهر جارية لم ير الرايون أفصح منها وحبها، فقلت لمن هذه؟ فقيل: هذه  
ثواب ليلتك التي تمت فيها، ولو مت في يملك هذه لكنت تلك الجارية حفظك.

ثم إن الجارية الفبيحة أشدت وجمعت تقول شعراً:

اطلب من الله وارددني إلى حال فأنت قمحتني من بين أشكالي  
لا ترقد البطل ما في النوم فائدة فإن تنم فلا تعطى سوى أمثالي  
نحي السرور لمن نال السرور ب جوف الصلام لسكني المنزل العالي  
وقد حفمت بلطف إن وعطت بها فأبشر فأنت من المولى على نالي

فأجابتها جارية من الحسان تقول شعراً:

أبشر بخير فقد تمت المدا أندا في حجة الحلد في روضات جنات  
محس النبالى الدواتى كنت سهرها جميع الظلام ببوعات ورفرات

أبشر فقد نلت ما ترجوه من ملك بر جواد بأفضل وفرحات  
 غدا تراه تجلى لك غير محتجب تدنو إليه وتحظى بالتحيات  
 وعن مالك دينار عليه السلام قال: تمت ليلة عن وردى فإذا أنا بثلاثة جوار كأنهن  
 الأقمار، فقلت: لمن أمهن؟ فقلن لي: لمن لم يرد الأباريق ولم يشعل بالشهوات  
 النفسانية، ووقفه مع الله بالتحقيق، ففت إن كنن صادقات فاكسرن الأباريق  
 فاستيقظت فوجدت إبريقى مكسوراً سائلاً مأزوم.

وأنشد شعراً:

|                           |                         |
|---------------------------|-------------------------|
| يا كثير الرقاد والعملات   | كثرة النوم توجب الحسرات |
| إن في القبر لو نزلت إليه  | من رقاد يطول بعد المعات |
| وعيم يحسني كذاك عقاب      | يذنبكم عملت أو حسنات    |
| أأمت المغموم من ملك الموت | فكم قد بدا لك من الليات |

وقال سعيد عليه السلام: أيما رجل قام في الليل وصلى ركعتين إلا تبسم الجبار في  
 وجهه وقال: أشهدكم يا ملائكتي أني قد عمرت له، وورد أن الله يباهي ملائكته  
 بالعبد إذا قام في الليل البارده يتعبد، يقول الله: يا ملائكتي انظروا إلى عبيدي خرج  
 من تحت لحافه وترك زوجته الحسناء يباحي بذكرى وكلامي، أشهدكم أني قد  
 غفرت له، وكان بعضهم أحب التهجذ إليه في الشتاء على السطح، وذلك دأب  
 السطوحية صيما وشتاء، ورأى بعضهم حورية كأنها لقمر ليلة تمامه فقال لها: لمن  
 أنت؟ فقالت: لمن يقوم الليل في الشتاء، يتصرع بين يدي الله، وكان السلف  
 الصالح يعرفون وجه من نام بلا تعجد ويقولون له — توبيخاً: ما رأيك هذه الليلة  
 في الحصرة الإلهية، قد حضر فلان وفلان وفُرقت عسيهم التحف، وكانوا يعيرون  
 على بعضهم اليوم على العراش الذين، وفيك لشعر الحافي: ألا تسريح هجمة؟

فقال: إن رسول الله ﷺ كان يقوم الليل حتى تمخبط قدماه، مع أن الله أحبره أنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فكيف يتم الذي لا يعلم ماذا يصنع به ولا يدري ما يفعل به؟

وكان الحسن البصري يقول ما تترك شخص قيام الليل إلا بسبب ذنب أدبه حتى حرم من العطايا والتشريف بالوقوف بين يديه، فتمعدوا أنفسكم كل ليلة عند العروب بالاستعفار والتوبة لعل أن تقوموا بالليل بين يدي الله تعالى، وكان يقول: إنما ثقل قيام الليل عليّ من كثرة أخطايا والذنوب، وقال رجل لإبراهيم بن أدهم: إني لا أقدر على قيام الليل فصف لي دواء لذلك، فقال: لا تعصه بالهار وهو يوفئك للقيام بين يديه بالليل، فإن القيام بين يديه من أعظم الشرف، والعاصي لا يستحق ذلك الشرف.

وكانت رابعة العدوية تقوم بالليل وتهجد عند السحر، فإذا انتهت قالت: يا نسي كم تنامين يوشك أن تنامي إلى يوم القيامة.

وأنشد في المصبي مقال:

|                           |                             |
|---------------------------|-----------------------------|
| يا أيها العاقل أني الرحيل | وأنت و هو وراة قليل         |
| لو كنت تدري ما تقاسى عد   | لدبت من فرط البكاء والعويل  |
| فأخلص الية وقم و الدج     | فما بقي في العمر إلا القليل |
| ولا تم إن كنت ذا عبطة     | فإن قدماك يوم طويل          |

وكان ثابت البناني يقول: عبيكم بقية الأكل والشرب فملكوا قيام الليل، فإن مكابدة قيام الليل أهون عليكم من مكابدة أهول يوم القيامة.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: يا معاشر المسلمين من خاف من طلعات القمر فعليه نسيام يوم شديد الحر، ومن خاف من سوء الحساب فعليه إطعام

الطعام، ومن يخاف من هول سكر ويكره فعله بقيام الليل، وقد جعل الله الهية في قيام الليل، وكان الجنيد رحمه الله يقول: لولا قيام اسيل ما أحببت البقاء في الدنيا، كذا قاله الصالحون، وقال إبراهيم بن أدهم: دحيت على بعض أخواني أعوده فتتصر الصعداء وتأسف كثيراً، فقلت له ما هذا التأسف؟ فقال: والله ثم والله، ما أتأسف على البقاء في الدنيا، ولكن على فوتي قيام اسيل وصوم المواجه وأصبر في الثراب والمسلمون يتعجبون، وروى أن الملائكة ترى بيت المتعبد في الأرض كما ترى الناس ضوء الكواكب في السماء يقولون: هذا بيت فلان، وهذا بيت فلان المتعبد، وعن بعضهم أن المتعبد يشمع في أمر يته، وروى أن من صلى بالليل يدخل في عرصات القيامة ووجهه يتلأأ نوراً في عرصاتها كالسراج في ظلمة الليل، وكان بعضهم يمرش الفراش الذي يضع يده عليه ويقول لنفسه: والله إنك لير، ولكن فراش الحنة ألين منك، ويتصلب قدميه إلى الصباح.

وأشدد شعرا في المعنى فقال:

|                           |                                |
|---------------------------|--------------------------------|
| و كل بر مقمر و وادى       | لله در السادة العبادى          |
| وستبدلوا سهرًا بعمر رقادى | هجرُوا المراقد في الطلام لرهـم |
| فماحت عليهم حرقة الأكباد  | كتموا الضبا حفظاً لهم ونحملوا  |
| ودموعهم سهلة كفوادى       | ألواهم تسليك عن أحوالهم        |
| من كثرة الأدكار والأورادى | لا يعشرون إذا الدجا وأفاهم     |
| برصاها وتعر بالإبعادى     | بطروا إلى الدنيا تعر بأهلها    |
| وترودو من صالح الأزوادى   | فتزهوا عنها وجدوا في اللفا     |
| بحر لأنام الهاشمى الهادى  | ومشوا على منى النى محمد        |

تنبيه: اختلفوا في فصل أجزاء الليل، والذي دلت عليه الأحاديث الصحيحة، وما ذهب إليه إمامنا الشافعي رحمته الله، من قسمه أصفاء، فالأخير أفضل، أو ثلاثاً فالأوسط، أو أصفاءاً فالرابع والخامس، وهو الأكمل لأنه الذي واظب عليه النبي ﷺ، وقد قال ﷺ: «أحب الصلاة من الله صلاة داود، كان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه، ويمام سدسه، وليس للمتهجد قدر في عدد ركعاته لقوله ﷺ: «الصلاة خير موضوع، استكثر أو أقل» فأحد سنتك الشافعي، وقيل اثنا عشرة ركعة، والذي صرح به شيخنا الشيخ مصطفى البكري الحنفي في المهمل العذب أن عدد ركعاته ستة عشر ركعة ركعتان سنة الوضوء يقرأ فيهما بعد الفاتحة الكافرون والإخلاص، ثم ركعتان يقرأ في الأولى بعد الفاتحة ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾<sup>(١)</sup> الآية، وفي الثانية ﴿وَمَنْ يَصَلِّ سَوَاءً أَوْ يَطِئُ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَعِزُّ بِاللَّهِ﴾<sup>(٢)</sup> الآية، ثم يسلم ويستعمر الله بعد الركعتين مراراً، ثم يصلي ركعتين من السافلة يقرأ فيهما بعد الفاتحة عشر الإسراء، وهو ﴿سُبْحَنَ مَنْ قَدَّازَسَلَفَكَ﴾<sup>(٣)</sup> إلى قوله. ﴿وَمَا أَوْتِشْتَمِينَ الْعَذَابِ إِلَّا قَلِيلًا﴾<sup>(٤)</sup> ويعيد العشر في الركعة الثانية، هذا إن قدر على ذلك، فإن لم يقدر أو صاق الوقت صلى بقية التهجّد، وذلك اثنا عشرة ركعة، يقرأ في الأولى بعد الفاتحة الإخلاص اثنا عشرة مرة أو أكثر، وينقص من الثانية من العدد واحد إلى تمام الركعات، أو يقسم سورة يس على اثني عشرة ركعة وإلا اقتصر على الإخلاص في كل ركعة مرة.

(١) سورة النساء آية ٦٤.

(٢) سورة النساء آية ١١٠.

(٣) سورة الإسراء آية ٧٧.

(٤) سورة الإسراء آية ٨٥.



قال بعض العارفين: من قرأ يس في قلب الليل محصور قلب فقد جمع له بين ثلاثة قلوب: قلب القرآن، وقلب الليل، وقلبه، فإذا دعا الله بعد ذلك استجيب له، ويسن أن يوقظ من يطمع في قيامه لأن في ذلك إعانة على فعل الخير، فقد قال ﷺ: «رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى، وبقيت امرأته فصلت، فإن أبت نصح في وجهها الماء، أو رحم الله امرأة قامت من سبيل فصلت وأيقظت زوجها فصلى، فإن أبي نصح في وجهه الماء» وفي رواية: «ورش ورشت» بدل «نصح ونضحت» وفي رواية: «ما من رجل استيقظ من الليل فيوقظ امرأته، فإن غلب عليها النوم نصح في وجهها الماء فيقومان في بينهما ويذكران الله تعالى ساعة من الليل إلا عفر لهما» ويصح أن يوى القيام عند النوم بنية جارمة ليحوز ما في الصحيحين من قوله ﷺ: «إذا أتى أحدكم فراشه فليذكر ما ينوي أن يقوم فيصلى من الليل، فعليه عشاء حتى يصبح، كتب الله له ما نوى، وكان يومه عليه صدقة من ربه».

وأن ينام القيلولة لأنها عملة السحور للصيام، قال ﷺ: «استصبروا يوم القيلولة على قيام الليل وبطعام السحور على صيام لهار» وأن يمسح المستيقظ النوم عن وجهه وأن يستاك وأن يطر إلى السماء، وأن يعرض ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّكَنَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخِلَافِ أَلْبِلِ وَالنَّهَارِ﴾<sup>(١)</sup> إلى آخر السورة، وأن ينام من نسي في صلاته حتى يذهب نومه، وألا يعتاد غير ما يطر.

ويكره ترك قيام الليل لمعتاده بلا ضرورة لقوله ﷺ بعد الله بن عمر: عمر يا عبد الله لا تكن كفلاً، كان يقوم الليل ثم تركه، فإن الله لا يمل حتى تملاوا»

ويسعى للمريد أن يأخذ نفسه بامرق وسين، ولا يحملها فوق طاقتها، ولا تعتاد  
 غير ما يظن أن يقدر على إدامته، بقوله ﷺ: «إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق،  
 ولا تبعض إلى نفسك عبادة الله» ولقوله ﷺ: «لا تكابدوا هذا الدين فإنكم لا  
 تطيقونه، وإن بعض أحدكم فليس على مرشه فيه أسلم» رواه الديلمي، ولقوله  
 ﷺ: «خذوا من العبادة بقدر ما تصيقون، وإياكم أن يتعود أحدكم عبادة ثم يرجع  
 عنها، فإنه ليس شيء أشد على الله من أن يتعود الرجل العبادة ثم يرجع عنها»  
 وعنه ﷺ لأبي هريرة: «يا أبا هريرة إن خسرك عليك حقاً ولأهلك عليك حقاً، ولربك  
 عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه، صم وأفطر وقم وحج، وأت أهلك» وعنه  
 ﷺ: «أيها الناس عليكم من العسر بقدر ما تصيقون، فإن الله لا يعمل حتى تموتوا،  
 وإن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل» ويكره تخصيص ليلة الجمعة بقيام من  
 بين الليالي بخلاف إحيائها بقراءة سورة الكهف، والصلاة على النبي ﷺ بمرورده  
 كما مر.

الركن الثالث. الصمت وهو عدم لكلام فيما لا يعنى، روى عن أبي هريرة  
 الغفاري رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «ألا أعلمك عملاً خفياً على البدن  
 ثقيلًا في الميزان» قلت: بلى يا رسول الله، قال: «الصمت، وحسن الخلق، وترك  
 ما لا يعينك».

وروى أن الصلاة عماد الدين، والصمت أفصل، والصوم حجة من النار،  
 والجهاد سنام الدين، والصمت أفصل.

وعن عيسى بن علي: العبادة عشرة أجراء، تسعة منها في الصمت وجزء في  
 الفرار من الناس.

وقال بعضهم: من كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه هوى في النار، وقال السيد البكري في الوصية الجيلة للساكنين طريقة الخلوتية: وعلى المبتدئ له أن يصمت بلسانه عن لغو الحديث، ونقله عن جميع الخواطر في شيء من الأشياء، فإن من صمت لسانه وقلبه انكشفت له الأسرار وجلبت عليه المعارف الأبهكار، فإذا صمت المرید بقلبه ولسانه انتقل إلى المحدثه السرية، لأن صمت الإنسان في نفسه لا يمكن أصلاً، وهذا الصمت يورث معرفة الله تعالى، ولقد تكلموا في الصمت المتقدمون.

ولقد قلت فيه كما قالوا: :-

انظر أحمى كم في الصمت من حِكَم  
واعمل به كم نفل قرباً وإحساناً  
واصمت بقلبك عن كل الوجود وقم  
في وصيه نبي كفى سرّاً وإعلاناً  
فذاك نور به تهدي القلوب إلى  
حضائر القدس تحقّقاً وإيقاناً

الركن الرابع: العزلة: وهي الانعزال ولا يقطع عن الخلق إثارة لصحية المولى سبحانه، وهي صغيات أهل الصفة وأرباب نوصلة، ولا بد للمرید منها في ابتداء أمره عن أساء جنسه وإلا فلا يفلح:

لقاء الناس ليس بعيد شيئاً سوى اهريان من قيل وقال  
فأقلل من لقاء الناس إلا لأحد علم أو إصلاح حال

وعن أبي أمامة الساهلي قلت: يا رسول الله ما السجاة؟ قال: «احفظ عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك» وقال ذو النون المصري: لم أر شيئاً أبعث على الإخلاص من العرلة.

والعرلة نوعان. باطية وظاهرة، فالباطية عرلة القلب مع الحق بحصوره معه، وعدم ملاحظة الخلق بالكيفية، هيى الناس مثال أقباء كما أشار إلى ذلك أبو يزيد، قال لى. منذ ثلاثين سنة أحاطب الحق والناس يصوبون لى أحاطبهم، وحدث صفة المحققين من الرجال الواصلين، والطاهرة والعرلة بالخلوة عن الخلق فى مكان بعيد بحيث لا تدرك منهم من يوديك، ولا يدركون منك ما يؤدبهم، مع التصرع إلى الله والانقطاع إليه، قالت عائشة رضى الله عنها: أول ما ندئ به الذى ﷺ من الوحي الرؤية الصالحة الصادقة، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُب إليه الخلاء فكان يأسى حراء فيتحدث — أى يتعبد — فيه الليالي ذوات العدد، ويتروذ لذلك، ثم يرجع إلى حديجة فيترود مثلها، حتى جاءه الحق وهو بغار حراء

ثم اعلم أيها الطالب سلوك طريق الأبدل، التى هى: الصمت والسهر والجوع والاعتزال المقاصد مقاصد الكمال، تعازم على التجرد والندحول فى سس الأبطال، من أراد العرلة بالخلوة لا بد له من تقديم تنباعد عن الناس قبل دحوها حتى تألف النفس الوحدة والانفراد، وتستعد بتقواها، وليقلل من الطعام والمتام، وليبو العرلة فى عزله عن الخلق طلب القرب من أحسنه، ويحقق الثوبة والإنابة إلى الله بالتصرع والخشوع، ويفرع بأطه من العثر والحسد والمكر والخديعة والرياء، ويربط مسح أستاذة ربطاً محكمًا حتى يصير فيعه متعسا لغيره من الخلق، ولو شاهد منهم العجائب من حرق العوائد، وهذا الاعتقاد أول فتح يفتح الله به على المرید أنه قد استعد للخلوة ويدخلها، ومتى وجد فى بطنه تعلق بالأعير والتفاتا للآثار ليخرج

من الخلوة للعزلة فإنه قد يكون دحسها قبل تكميل شروط العزلة، فإن لم يحكم المرید العزلة لا يدخل الخلوة ولا يحطى بالخلوة، فالخلوة أثر عن العزلة، والعزلة أثر عن الهمة، والهمة أثر عن التوفيق الذى هو خلق قدرة الطاعة في العبد.

ثم يدخل الخلوة بالتوفيق بعد تنظيمها بالكس والمسل وتنظيمها بالبحور كالخاوى والعمر الختام بالشروط المحترمة عندهم، فقد اشترطوا لها أربعة وعشرين شرطاً، أذكرها تكميلاً للعائلة:

الأول: أن يعود نفسه السهر والذكر وحنة الأكل والعزلة، كما تقدم حتى يتمرن على ذلك.

والثاني: أن يستأذن الشيخ في دخولها، ولا يدخلها بلا إذن التة ما دام في حجر التربية.

الثالث: أن لا يدخلها على بية حبس نفسه عن الناس ليربحهم من شره وضره، ويرتاح من شرهم وضرهم.

ولقد أجاد بعضهم حيث قال:

|                        |                          |
|------------------------|--------------------------|
| راحق يا إخواى فى خلونى | وبلاى كله من رفقى        |
| كلما عاشرت قومًا منهم  | نقصوا العهود وحاتوا صحبى |
| ما اعتزالى عنهم من ملل | من وجدت راحق فى عزلى     |

الرابع: أن يدخلها كما يدخل المسجد معرداً مبسلاً مخلصاً لله تعالى.

الخامس: أن يدخلها الشيخ قبله ويركع فيها ركعتين بجمعية مه، وإن ذلك يقرب الفتح على المرید.

السادس: أن يعتقد أن الله ليس كعنه شىء، ولا تدركه الأبصار، وأن الله لا يأمر بالفحشاء، ولا يترك الأعمال الصالحة لعموم إقامته، ثم إن لاح له شىء فى

حلوته وقال: أما الله وأنت وليي وحبي، وقد أبحث أرحم نفسك من العناء والمشقة والتعب فلست أغضب عليك بعد هذا اليوم.

فليعلم أن هذا الخطاب لا يحلو إما أن يكون من جهة من الجهات الستة، أو من غير جهة، فإن كان من جهة فهو من الشيطان قطعاً، فيبتعد بالله ويحصن بالذكر والإخلاص، وقراء القرآن — إن كان قارئاً — وإن كان هذا من غير جهة فهو من الحق سبحانه وتعالى، لكن لا يحلو إما أن يكون من باب المكر والطرده من الله ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾<sup>(١)</sup> وإما أن يكون من باب الرصي الدائم، كما وقع لأهل بدر من قوله: ﴿لَقَدْ رَمَىكَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٢)</sup> فعلم بالضرورة أنهم بعد ذلك لم يدعوا عرضاً ولا نفعاً ولم يخرجوا عن حكم شرعي، وعلامة الشاي أن يصحبه الخط ولأس بالله، والأول يصحبه الميل إلى الرمان والشهوات العسائية فيستعيد بالله من الله، كما جاء في الحديث: «أعوذ بك منك» ويتحفظ من الأول بدليل الاعتقاد العلمي: الإيمان بالله ليس كمثله شيء، ولا تدركه الأبصار، وهو ذلك، فإنه يصرف عنه حائلاً ويهجو من إغوائه وإضلاله، ولا بد من تلبسه بعمل قولي كان أو فعلي يشعل به نفسه لما قيل إن النفس دائمة الاشتعال، إن لم تشعلها بحق شعلتك بالباطل.

السابع: أن لا يعلق نفسه بكرامة ولو عرص عليه أنواع الكرامات، لكن يقل ما يرد عليه من الله بحسب الأدب، ولا يقف معه، فإنه مهما وقف مع شيء فيحسن الظن بالله تعالى ﴿وَقُلْ رَبِّ رِنِّي عَسَىٰ﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة البقرة آية ١٥.

(٢) سورة الفتح آية ١٨.

(٣) سورة طه آية ١١٤.

الثامن: أن لا يسد ظهره إلى جدار ولا يتكى على فراش ويكون مطرفاً رأسه مغمضاً عينه.

التاسع: أن يشعل قلبه مراعيًا خطره، بالنهي عن قلبه مراقبا لربه، معتنحضرا جلوسه بين يديه، لقوله تعالى: «أنا حبيس من ذكرى».

العاشر: أن تكون الخلوة مظلمة لا يدخلها شعاع الشمس وينبغي أن يكون ارتفاعها قدر قامتك وطولها قدر سجودك، وعرضها قدر جلستك، ولا يكون فيها ثقب ولا كوة، بابها يكون لجهة القبلة، بعيد من أصوات الناس، وبابها غير عالٍ قصير وثيق في غلقه، ولهكن في دار معمورة بالناس، وإن أمكن أن يبيت أحد عندك بحيث يكون قريباً من باب الخلوة كان أحسن، بشرط أن لا يكتر من الحركة والهرج لئلا يشغل قلبك بها ولا تكثر الحركات أنت أبداً فيها.

الحادي عشر: الصوم مع تقليل الأكل عند الفطر، وعليه تقليل الماء حسب الجهد والطاقة فإن ذلك مما يوجب تقليل الأجزاء الهوائية والبارية فيصفر القلب بذلك.

الثاني عشر: دوام الوضوء، فإنه نور طاهر مع استدامة استقبال القبلة فيها.

الثالث عشر: السكوت إلا عن ذكر الله أو ما دعت إليه ضرورة شرعية، وما عدا ذلك محبط للعمل مذهب لنور القلب.

الرابع عشر: إذا خرج من خلوته لوضوئه بخرج مطرق رأسه غير ناظر لشيء، إلا الحاجة، فإنهم يكرهون فضول النظر كما يكرهون فضول الطعام، معطياً رأسه بشيء مستدير يأمس الهواء لئلا يصيبه وأعصاؤه مخلخلة من الذكر.

الخامس عشر: المحافظة على الجمعية والجماعة، فإن المراد الأعظم من الخلوة عند القوم متابعة النبي، وفي ترك ذلك خلل عظيم، ومتابعة حيث كان في المسجد

الذي تقام فيه، أو يقتدى بشخص وهو داخل الخلوة وهو يراه ويفتح الباب، اللهم إلا أن يغلب عليه الحال ويستولى، فإن استولى الحزن فالحكم له، وهو عذر ظاهر، قال السهروردي رأينا من تشوش عقبه في خلوته، ولعل ذلك من ترك الجماعة، ولا يجلس مع الناس بعد الصلاة ويصلي السس في الخلوة، ولا يقتصر على الفرائض والرواتب والركعتين عند كل طهارة من حدث ويأتي بأوراد الطريق.

السادس عشر: المحافظة على الأمر الأرسط بين الجوع والشبع، ومما ينبغي له إذا كان وقت العطر ولم يجد معه تايقة للأكل والشرب أن يفطر على ربيبة أو لوزة لأن تعجيل العطر ماء، أو جرعة ماء، وليقم إلى الصلاة فإذا أتمها بأدائها فليحضر بعد ذلك ما استعده لعدائه فيها، وإذا كان عنده من يخدمه شربة أرر ولا يجعل فيها ملحاً، إلا إذا كان بحيث لم يظهر بلوغه، وليكن الذي يأكله من الشعير وإلا من البر من غير ملح فيه أيضاً، هذا إن لم يحصل به مشقة بتأخير العشاء وإلا قدمه، وشرط بعض المشيوخ أن يكون طعام المحلى وسماً لم يحصل عن حيوان.

السابع عشر: أن لا ينام إلا عن عبة يوم، وخذ الغلبة أن يتشوش عليه الذكر، ولا ينام لراحة البدن إن قدر أن لا يصع حبه الأرض وينام جالساً فعل، فإن النوم يسمى الرطوبة وعمو الرطوبة بشعر الأجواء الترابية فيتكدر صعو القلب ونشاط الروح عن الترقى في الملكوت فلا يحصل له نتيجة الخلوة.

الثامن عشر: نفى الخواطر كلها، حيز كان أو شراً لأن الخواطر تعرق القلب عن الجمعية الحاصلة بالذكر، إلا أن يبلغ درجة التمييز، فإنه عند ذلك يسمى ما يجب نفيه ويبقى ما يجب بقاءه، وإلى المرید في الابتداء يسمى الخواطر كلها لأنه دخيل في الطريق لا يميز له بين الخواطر والخواطر ما ترد على الصمائر.



والوارد عليها في اليوم واللييلة اثنان وسبعون ألف خاطر، منحصرة في خمسة خواطر أمهات، لأما تارة بإلقاء الحق، ودارة بإلقاء الملك، وتارة بإلقاء القلب، وأخرى بإلقاء الشيطان، ويكون بإلقاء النفس، فإن كان من قبل الله يسمى خطابا، وإن كان من قبل الملك يسمى إلهاما، وإن كان من قبل القلب يسمى هاتفا، وإن كان من قبل الشيطان يسمى ومواسا، وإن كان من قبل النفس يسمى هاجسا، وكل ما فيه قرينة فهو من الأرو والكس، وكل ما فيه مخالفة أو موافقة معلومة فهي من الثالث والرابع، ولكن واحدة من الأربعة علامة تميزه عن الأخرى، فيسمى إذا خطر له الخاطر أن ينظر في ما يعقبه، فإن أعقبه برد ولدة وسرور ولم يجد له ألما ولا صررا ولم يغير له صورة فهو الملكي، ويترن علما وفهما، وإن أعقبه تشويش في الأعصاب أو وجع أو ألم وصيق كان من الشيطان، ويترن تحيطا، وأما إذا أعقبه ألم في القلب وفي الصدر صيق وفي النفس تكرار كان من النفس، لأن النفس إذا طلبت شيئا من شهواتها ألحت في طلبه، فقد شبهوها بالطفل الصغير إذا أخذت منه شيئا، فإنه لا يزال يبكي حتى ترد ما أخذته منه إليه، بخلاف الشيطان فإنه مقصوده الإغواء بأي وجه كان.

وأما إذا كان له على القلب صولة ولا للنفس صولة ولا للشيطان معه مجال ولا للملك عليه أعراض ولا يرد بأمر ولا نهي، ولا يدفع بالدفع فهو الأول، فإن له على القلب حكما كالسبع الضاري على العريسة الضعيفة لكن هذا الفرق يحتاج إلى صعاء قلب وسريرة، وقال بعضهم: إذا كان الخاطر من قبل الله تعالى كان تنبيها للعبد وإيقاظا له، وإن كان من قبل ملك يكون تحريضا على العبادة، وإن كان من قبل القلب وافق الملك، وإن كان من قبل الشيطان يكون تزيينا لمعصية، وربما يدعو الشيطان إلى عبادة ويحصر عليها وعلى ذكر آخر، أو على

شهوة فيشته بالنفس والملث، وإنما يفرق بينهما فإن الخاطر الملث يتولد منه السكون، والشيطان يعقبه الوحشة وشقة، والنفس تلج في الطلب وتبالغ ولا تقبل العدل، كما تقدم، فلا ينمى هذا الخاطر إلا بغير تام ووجد بليغ، وأجمع الأشياء أن النفس لا تصدق في إلقائها وإن النفس لا يكذب.

تنبيه: من قصر فهمه عن إدراك حقيقة الخواطر والتس عليه الأمر فليكن الخاطر عميران الشرع، فإن كان فرضاً أو معللاً بمضيه، وإن كان محرماً أو مكروهاً بغيره، فإن استوى الخاطران في نظر العلم ينفى أقربهما إلى مخالفة هوى النفس، فإن النفس يكون لها هوى كامن في إحداها والعاب في شأنها الاغوجاج والركون إلى الدون، وقد يعبر عن الخاطر بالوارد، وكلاهما بمعنى واحد، وقيل: يفرق بينهما بأن الوارد لحظة أو ساعة، وإن رآه في مثل يوم فهو الخاطر، ومن علامات الخاطر أن يمكث ثلاثة أيام، ومن علامات الوارد الإلهي والخاطر أن العبد ما دام مستغرقاً مع الله عائناً عما سواه وأفعاله كلها تصدر عن الله، لا عن نفسه، دعها من أي قسم كان من الباطن والظاهر، ومن عالم الغيب أو من عالم الشهادة، أو من إدراكات العقل أو من غيره، أو من علاماته أيضاً إذا رجع عن أفعاله، لا يميز ما فعل من فعل ما، من أكل أو شرب أو غير ذلك من أي الأفعال، فكان في ذلك الوقت فعلاً بالله، لأنه ليس من خلق جديد.

وأشار صاحب الإنسان الكامل بقوله: يأكلون ويشربون ويحلفون بالله إنهم لا يأكلون ولا يشربون، وهم عند الله بريئون صادقون، فتصديق الحق يقال لهم في ذلك على أن أفعالهم ليست صادرة عنهم، وإنما هي كلها حميدة، وانتساب الحمد لله وعلامة الأفعال الحميدة السمة أن تكون دالة على الله في كل فعل من الأفعال

وحال من الأحوال، وإنما ليست متعلقة بالأكوان، بل طائفة عن الأكوان في طلب صاحب الأكوان.

والوارد الملوكي يرد من عالم الملكوت، وفي اصطلاح السادة الصوفية، رضى الله عنهم، أن عالم الملك هو البشرية، وعالم السموات هو الروحانية، لأن الروحانية متعلقة بالملك والبشرية متعلقة بالنفس، لقول بعضهم: ما دامت بشرًا أنت بشر أى: ما دمت مع نفسك الحيوانية فأنت في أفعالك الدنية عرقان في بحر الدار البشرية، هي النفس الحيوانية، ومن علاماتها أنه لا تأمر بحير قط، كما مر، ومن علامات الدخول في مقامات الروحانية أن ينخلص من أوصاف نفسه الحيوانية ومن أفعاله الدنية حتى لا يبقى عليه منها من بقية وتكون أفعالها كلها طيبة سنية لأنها صارت على النفس المرضية ومعرفة هذه الخواطر من أهم الأمور على المريد في الخلوة يستعين على عدوئه: النفس والشيطان، سيما في هذا الحال الذي رلت فيه الأقدام — إلا من عصمه الله وقليل منهم.

قال شيخنا البكري في هدية الأحاب: مما يقع في طرد الخواطر عن القلب إذا هجمت عليه وأشعلته عن ربه:

الطهارة أولاً، بأن يحدد الرصوء، فإن لم يذهب فليرفع الصوت بالذكر إلى أن تقل ثم يعود إلى خفضه بعد ذلك، فإن لم تقل يرفع الصوت فليترجعه بحمة شيعته في دفعها، فإذا ذهبت ثم عادت فيضع يده على قلبه وليقل سبحان الملك القدوس الخالق الفعال ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾<sup>(١)</sup> سبع مرات، وقيل: إنما تنفع في روال الوسوسة، فتذكر عقب كل فرض سبعاً أو ثلاث.

وذكر البوي في شمس المعارف صغرى: مما يجمع لاستيلاء الخواطر على القلب أن يتوضأ ويدكر يا قدير، فإنه يذهب جوعه عنه، ثم قال: وإذا وجد استرحاء في بدنه واستشعر الضعف فيعتسل وليذكر يا قوى يا قدير، إلى أن يقطع نفسه سبعة أعاس، فإن الله يحدث في أعصابه قوة باطنة، وظاهرة، ثم قال: ومن أدركه قلق وتشويش خاطره من اختلاف الأفكار فيتوضأ ويدكر يا أمين يا هادى سبعة أنفاس كاملة، كما تقدم، فإن الله يذهب جوعه عنه ويسكن خاطره ويصفى وقته، وذكر غيره مما ينفع للخرج اسمه تعالى الصمد، فإنه إن ذكره الجائع ظهر أثره في الحال، واسمه تعالى الحبيب، يتلوه الظمآن يسكن ظمؤه، وقيل: إن سورة تبارك إذا تلاها الإنسان وبده على قلبه سكن عطشه.

التاسع عشر. دوام ربط نفسه بالشيخ، المسلك الكامل الناجح سلوكه على الكتاب والسنة، شرعى حقيقى، وعلى المرید استعادة علم الوقائع منه على وجه التسليم، فإن الأستاذ باب المرید الذى يدخل منه على رسول الله ﷺ، فإنه حقيقته، ولذلك يجب رعايته بالمظاهر والباطن على الوجه الأكمل.

العشرون: أن لا يفتح باب الحيرة لطارق يطرق عليه إلا لشيخه، ويرد الجواب بآية من القرآن إن أمكه، وأن لا يكلمه إلا بكلمة ولا يزيد عليها ويقصد بالكلمة الذكر، ولا يتكلم إلا مع شيخه مدة الخلوة فإن ذلك مما يفسد عليه حياته، فإذا قام الشيخ عليه حارماً فلا يريد في الكلام على الحاجة من أربع كنم إلى ثلاثة، أو من ثلاثة إلى اثنين، ثم إلى واحد، فإن الكلام مفسد وتعريق للجمعية.

الحادى والعشرون. إذا رأى شيئاً في الواقعة فلا يستحسسه ولا يطلب من الشيخ تأويله، ربما لا يرى الشيخ مصلحة في التأويل ولا يكتم من الشرح واقعة لقبحها أو لحسها، فإنه يكون محثاً ومنه لا يجب الخائين، فإن قال له هذا نفسى

أو شيطان أو غير ذلك وجب عليه اعتماده ما لم يحصل إلى الذوق، فإن وصل وذاق الخواطر وعرفه وميزه عن غيره حسب انقراق بين الشهد والحفظ فلا بأس باعتماده على معرفته، وأما معرفته لذلك بالعارات فيصعب نوع صعوبة، فلذا شبهه شبه مبدأ هذا الأمر إلى انتهاء، فإن مبدؤه مرض ومنتهاه صحة، فإن القلب ذو أمراض في الابتداء، فإن داواه الشيخ الحادق بسبب الساجع العالج المسلك صبح وسار سليماً سالكا، فإذا صبح القلب وسلم دوقه سلمت الأتباع من الشبه.

الثاني والعشرون: دوام الذكر، وهو: «لا إله إلا الله» كما اختاره الجليل وجهاعة و «الله» على ما اختاره بعض المتأخرين، وقال الشيخ دمرداش: إن الذكر في الخلوة يكون بما يعطيه الشيخ للمريد حسب ما يراه، وقال بعضهم: المتدأ: «لا إله إلا الله» والتمهي «الله» وقال بعضهم: التحفيظ أن ذلك راجع إلى الذكر، فإن وجد التأثير في قلبه بـ «لا إله إلا الله» نزمه وأكثر منه، وإن وجد التأثير بـ «الله» لزمه وأكثر منه، وأجمع الأكشباح المرشدون أن المرید لم يسلک طريقاً أقرب ولا أوضح من الذكر، ولا يشتغل بسواه، ما عدا السن والعراص، وقال في هدية الأحباب: يشتغل بجميع أوراد الطريق ولا يخلو بأداب من آدابها، كما تقدم، ويبغى أن يشهد الذاكر أن المحرك له في الذكر والمطلق به هو الله وحده، ولا قدرة له أصلاً، فيكون الحق تعالى بهذه الملاحظة هو لساكر.

الثالث والعشرون: الإخلاص، وجسم مادة الرياء والشرك الخفى، لأن ذلك محبط للعمل، قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (١).

الرابع والعشرون: أن لا يعين مدة الخوة، فلا يحدث نفسه بالخروج منها بعد الأربعين، فإن حدث نفسه فقد خرج في اليوم الأول، ولكن يحدثها بأما قبره إلى يوم القيامة، وهذا دقيق لا ينشئ له إلا الباعون، ولا يأس إلى الخلوة حتى يجاب كل من يعاشره ويصاحبه ويأس بكلامه أو برؤياه فيستوحش من صدها، ثم يستأنس بذكر الله عز وجل، ثم لا يزال مستأنساً بالخلوة والذكر حتى تنقطع عنه الأضداد، ثم يأخذ من هنا في بداية الخلوة المعنوية، فيكون بصورته مع الأعيان، ومعه مع الله عز وجل، ويلوّد ذلك قول الحيد لمريده. إذا كان أسكنكم بالله في الخلوة استوى عندكم الصحارى والحيوات، وإن كان أسكنكم في الخلوة ذهب أنسكم إذا خرجتم منها.

فهذه الشروط مما يجب على المرید حفظها ومعرفة ما يعرف ما يطلب منه وما يجب التحرر منه، ثم ملاك هذا كله المهمة والتوليق.

وأما أصول الطريق فقد عدّها صاحب «القول المتين في فضل الذكر والتلخيص» عشرة، وأوصلها إلى ثلاثة عشر:

الأول: التوبة، بالمعنى المتقدم.

الثاني: المجاهدة للنفس، وهي إتباع النفس في الأمر الحائر، وقال بعضهم: ترك المألوف والعادات وتحمل المشقات.

واعلم أيها المرید الموفق السعيد أن تقوم أجمعوا على أن المجاهدة لا بد منها في سلوك طريق الأخيار الذين هم سيئاتهم حسات الأبرار، مستدلين لذلك بالكتاب والسنة:

أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِي سَبِيلِنَا﴾<sup>(١)</sup> ﴿وَمَنْ جَاهَدْ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾<sup>(٣)</sup> ﴿وَقَضَى اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَوْمِ الْأَكْبَرِ أُجْرًا عَظِيمًا﴾<sup>(٤)</sup>.

وأما السنة فقوله ﷺ: «اعملوا فكرٌ ميسرٌ لما خلق له» وقوله ﷺ: «رجعوا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر» قيل: يا رسول الله وما الجهاد الأكبر؟ قال: «الجهاد في النفس» والمجاهدة في حصول التعب والمشقة في حال السلوك، فمن وجد مشقة وتعباً قيل له: مجاهد، ومن لم يجد ذلك لا يقال له مكابد، فإن المجاهدة مكابدة، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْتَ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَرَّبُونَ فِي مَسْجِدِ اللَّهِ﴾<sup>(٥)</sup> ثم أمرهم بالجهاد في النفوس، فالتعوس عارية عندهم، فمن تحقق في هذا المعنى لم يجد مشقة للمجاهدة إلا من حيث ظاهره، وأما من حيث باطنه فهو مستريح من التعب والصب، قال سيدي عبد الوهاب الشعراني: أجمع الأشياء أنه لا بد للمريد من مجاهدة في ابتداء أمره، وأجمعوا أن من رام الطريق بعد مجاهدة فقد رام الجحان.

قال بعض الأشياء: كل من ليست له بداية محركة ليست له نهاية مشرفة، فالبداية يطالب فيها المرید بالتصعية والتحلية ليحظى بالتحلية، فالتصعية يصعب سريره من التعويق بالأعيار والوقوف مع الأوهام والأفكار، والتحلية هي التحلي عن السوى وترك كل ما بالسالك من هووى، وما سبيان: الذكر، والمكر، فالذكر

(١) سورة النكبات آية ٦٩.

(٢) سورة النكبات آية ٦.

(٣) سورة الحج آية ٧٨.

(٤) سورة النساء آية ٩٥.

(٥) سورة التوبة آية ١١١.

بشرق الأنوار ويفرق الأكدار، بانعكر يعرف العد ما ياسب حاله، فيلوى عليه آماله، وما لا ينفعه تركه ووضع، والنصمية والتخلية يكونان في العقل والمكر والقلب والروح والسر والخواص الصاهرة، يد هما كناية عن التطهير والتفديس، فطهارة العقل عدم وقوفه عن كون من الأكوار، وطهارة المكر أن لا يمر فيه ما يشغلث عن الرحمن.

واعلم أنك إذا قت في لوقت مع المأمور مقهور فقد أعطيت بمجاهدتك كمال الأجور، وطهارة القلب فراغه عن حلول شيء فيه، إذ هو بيت الرب فيجب عليك أن تفرغه وتضعه، وطهارة الروح عدم الوقوف مع الميض والفتوح، والتحقق بمقائق العودية، والخروج عن الوجود بالكلية، وطهارة السر عدم شهوده سواء، والعيبة به فيه عن كل ما يره.

وطهارة الخواص الطاهرة بمياه العيوضات الباهرة، وطهارة السمع عدم السماع إلا به، وطهارة العين عدم شهود غير العين في كل أين وبين حسن وشين، وطهارة الشم في استشراق نسيم الحى، وقال عليه السلام: «من عرف نفسه فقد عرف ربه» طريق معرفة النفس على منح الخواص الكمل لا يكون إلا بالمجاهدة والنصفية، وهما من أنواع المجاهدة، فمن لا مجاهدة له لا مشاهدة به، قال أبو علي الدقاق: من رتب طاهره بالمجاهدة رتب شئ باطله بالمشاهدة، ومن لم يجاهد نفسه في بدايته لم يشم للطريق رائحة، وقال بعضهم: بُييت الطريق على ثلاثة أشياء: لا يأكل مريدنا إلا عند الفاقة، ولا ينام إلا عند العلة، ولا يتكلم إلا عند الضرورة.

وأشد بعصهم فقال:

بقدر الكد تكسب المعالي      ومن طلب العلا سهر الليالي



تروم الوصول ثم تنام ليلاً  
ومر رام العلا بعمر كد  
يعوض البحر من طلب الآلى  
أصاع العمر في طلب المحال

واعلم أن مجاهدة النفس وعلاجها أشد وأصعب من مجاهدة الشيطان، لأن النفس لا يمكنك التجرّد عنها بحال من الأحوال قطعاً، وهى مصيدة الشيطان وآله، وهو عدو بخارج، وهى عدو حاصر معك فى داخل جوفك، والنفس إذا كان من أهل البيت صاعت فيه الحيل وكثر فيه الضرر، بخلاف ما إذا كان خارجاً فإنك تدبر عليه وتمنع، وأيضاً الشيطان عدو مبعوض، والنفس عدو محبوب، والمحب يعمى عن عيوب محبوبه، فإذا استحسن المرء من نفسه شيئاً لا يطلع عليه ولا ينظر إليه حتى يقع فى المهالك واللاء وهو لا يشعر، ومن شأها تحس القبيح وتقبح الحسن لصغرهما وعدم بلوغها، وقال بعضهم: من لم يجاهد نفسه فى جمع الحالات ولم يخالفها فى جمع الشهوات ولم يجردها من جميع المكروهات، وإلا فهو معرور فى سائر الأوقات، قال عليه السلام: «هل أدلكم على صاحب إن أتم أجهتموه أو أهتموه أكرمكم، وإن أكرمتموه أفصى بكم إلى شر عاية» قالوا: يا رسول الله، والله إن هذا لشر صاحب، قال: «والذى نفسى بيده إنها لنفوسكم اللاتى بين جنوبكم» وقيل: أوحى الله إلى بعض الأسياء: عاد نفسك عيسى لى منارع فى المملكة غيرها، أى لأنها تطلب ما هو لرب تعالى، وهو الكبرياء والعظمة وإحاه والشهوة وامثال الناس هذا، قال بعضهم: سمحت نفسك فإن خلصت منها وقعت فى راحة الأبد وإن وقعت فى حياها وقعت فى تعب الأبد.

وفى الحقيقة أن أمر النفس ومجاهدتها وعلاجها صعب وعسر، لا يكى بمرة واحدة بل بالتكرار مرة بعد أخرى، وقد شبهها بعضهم بالدابة الخروى فلا تنقاد إلا باللعام، وإنما تنقاد وتذل بثلاثة أشياء:

الأول: معها من شهواتها، فإن الدابة خروى إنما تنى إذا نقص علمها

والثاني: حمل أثقال الطاعات، لأن لبابة الحروب إذا قل علمها ورُيد في حملها ذلت وضعفت وصعرت وانقادت ورجعت وأطاعت.

والثالث يستعين عليها بالله، لا بحرمه ولا بعزمه، إلا بتوفيق من الله، ألا ترى إلى قول الصديق الأكبر **﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالشَّوْءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾** <sup>(١)</sup> ولا بد للمريد أن يكلف نفسه الأعمال الشاقة التي يعسر عليها ارتكابه من صوم وصلاة وذكر بحاسة مألوف، ثم يقلها إلى ما هو أشق من ذلك حتى نصير ولا تنمر من طاعة ولا تثقلها وتألّمها، بل تتأدى بتركها الطاعات فمهما عودتها تعودت، وإن سعتها صبرت، وإن تركتها في شهورها عوت وهلكت.

قال صاحب البردة:

والنفس كالطعل إن تحملته شب على حب الرضاع وإن تفضمه يعظم وأنشد بعضهم فقال أحياناً:

صبرت عن اللذات حتى تولت وألّمت نفسي هجرها فاستمرت  
وكانت مدى الأيام نفسي عريّة فلما رأيت عزمي على الدل دلت  
وما النفس إلا حيث يجعلها العتي فإني أطعمت قاتت وإلا تسلت  
وسياتي الكلام على أوصافها وما يتعلّق بها في الباب العاشر، إن شاء الله تعالى.

والثالث: الحرّ لله، وهو قصر القلب عن التفرقة في أودية العملة وصاحبها يقطع في طريق الله ما لا يقطعه من فقد حربه في سبيل، وفي الحر أن الله يحب كل قلب حزين.

الرابع: الدعاء مع العادة، ومفتاح الخدعة، ومفتاح العبادة، وإن الله يحب الملحين في الدعاء، وأن الدعاء يرد السوء النازل من السماء، وفي الخبر أن العبد يدعو الله وهو عليه عضاض، فيعرض عنه، ثم يدعو فيعرض عنه، فيقول الله للملائكة: أبي عبدى أن يدعو عبرى، أشهدكم أنى قد استجبت له.

الخامس: الخوف، وهو فرع القلب من صورة الرب، وهو من شروط الإيمان، قال تعالى: ﴿وَحَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾<sup>(١)</sup> وقال سليمان الداراني ما فارق القلب خوفاً إلا حارب، وهو ثلاث مراتب: الأولى: خوف الوعيد وتحديد العذاب وسطوة الاقتدار وعدم قبول العمل، قال ﷺ: «لو تعلمون ما أعظم لضحككم قليلاً ولبكينكم كثيراً، ولا تلذذتم بالنساء على الفراش» فصاحبه لا يقبل قدمه سوى نفسه، ولا لما ليس فيه رضى مولا، وستل بعضهم ما لى لا أرى الخائفين؟ فقالوا: لو كنت خائفاً لرأيت الخائفين، لأنها: خوف المكر وسوء الخاتمة وسلب الأحوال، ثالثها: خوف السابقة من حيث كونه ما يعمل به لم يعلمه، قال ﷺ: «إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراعاً أو باعاً، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها...» الحديث.

قال بعضهم:

|                     |                   |
|---------------------|-------------------|
| الرم الخوف مع الحرن | بتقوى الله تريح   |
| واترك الدنيا جميعاً | إن خوف الله أرجح  |
| واجتهد في ظلم الليل | إذا ما الليل أصبح |
| واقرع الباب بدلاً   | فلعل الله يفتح    |

السادس: الرجاء، وهو توقع أمر محبوب على سبيل الاقتراب، وهو ثلاث مراتب: الأولى: رجاء الشفاعة مع حابة الإسراف وقلة العمل، فيرجو دخوله في شفاعته الشافعين من رسول الله ﷺ وغيره من عباد الله الصالحين، من كون الحق سبحانه وتعالى قال لسيه ﷺ: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾<sup>(١)</sup> فهو لا يرضى ﷺ أن يكون أحد من أمته في النار، قال لإمام على، كرم الله وجهه: إن هذه الآية أرجى آية في القرآن، فعامة المؤمنين يرجون الشفاعة، لكن مع صحة الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر، وإقامة حدود الله بالثقوى، فإن ذلك موجب استحقاق الشفاعة.

ثم قال:

|                  |                  |
|------------------|------------------|
| يا رب أنت إلهي   | وميك أحسنت هي    |
| يا رب فاعمر ديني | وعافى واعف عني   |
| العفو منك إلهي   | والدب قد جاء مني |
| والظن فيك جميل   | حقق بحقك بطني    |

رابعها: رجاء الرحمة، ويشأ ذلك من سعة الرحمة والممة لقوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾<sup>(٢)</sup> وقوله ﷺ معاه: أن الله خلق يوم خلق السموات والأرض مائة رحمة كل رحمة منها طابق ما بين السموات والأرض، جعل منها رحمة في الأرض، فيها تعطف الوالدة على ولدها، والوحوش والطيور، بعضها على بعض، وأخر تسعة وتسعين، فإذا كان يوم القيامة كملها بهذه الرحمة» وقال ﷺ: «لن يدخل الجنة أحد بعمله» قيل له: ولا أنت يا رسول الله، قال: «ولا أنا إلا أن

(١) سورة الصحن آية ٥.

(٢) سورة الأعراف آية ١٥٦.

يتعمدني الله برحمته» وفي الخبر: «يؤتى يوم القيمة رجل من أمي وعليه من الذنوب ما لا يحصى فيقف بين يدي الله تعالى، فيحاسب ثم يؤمر به إلى النار، هيلعت، فيقول الله تعالى: يا عدي ما كان استعانتك؟ فيقول العبد: يا رب تسألي عن أمر أنت أعلم به مني؟ وما كان طي بك هدا، فيقول الله تعالى: وما كان ظنك بي؟ فيقول: يا رب عصيتك وم أقصع رجائي منك، فيقول الله تعالى لملائكته: وعرتي وجلالي ما كان من عدي هذا الطر ولا كان رجأؤه هدا الرجاء، ولكن هذه دعواه ادعاها هذه الساعة، أشهدكم أني قبست دعواه وغفرت له وحقت ظنه، اذهبوا به إلى الجنة.

ويقال في المعنى:

يا رب إن تعرف فهذا طبا      وب تعذب كنت عدلا مصمما  
فادر ربي على كليهما      دفن بالأولى بحاه المصطفى

السابع: الورع، وهو خمسة أشياء. ورع عن الحرام، وورع عن المكروهات، وورع عن الشبهات، وورع عن المباحات، وورع عن الأعيار.

فأما الورع عن الحرام فهو سلامة الدين عن طعن الشارع فيه.

وأما الورع عن المكروهات فهو السلامة من الوقوع في العصب.

وأما الورع عن الشبهات فهو استبراء لمعرض والدين.

وأما الورع عن المباحات فهو فصيلة عند انقום واجب إلا على حد

الضرورة.

وأما الورع عن الأعيار فهو أن لا تحتج شركا بالله ولا بطرق قلبك سواء،

فيري الناس أمثال أمياء، قال ﷺ: «و صليتم حتى تكونوا كالحيايا، وصمتتم حتى

تكونوا كالأوتار، وأجريتكم الدموع كالأنهار، فلا يسمعكم إلا بورع صادق.

الثامن: التقوى، وهى عفة قلبه وكلامه، واصطلاحاً التحرر بطاعة الله عن مخالفته بامتنال أوامره واجتناب نواهيه.

وقال بعضهم فى المعنى ألياًناً:

|                         |                           |
|-------------------------|---------------------------|
| ولكن التقى هو السعيد    | ولست أرى السعادة جمع مال  |
| وعند الله للتقوى المريد | فتقوى الله خير الراد دحري |
| ولكن الذى يمحصى بعيد    | وما لا بد أن يأتى قريباً  |

التاسع: الرهد وهو قصر الأمل ليس هو يأكل العبيط ولا يلبس العباة، قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَتَّعْتُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾<sup>(١)</sup> وقد عرفت: «إذا رأيتم الرجل قد أوتى رهداً فى الدنيا ومسطقاً فتقربوا به.

وهو خمسة أقسام الأول أن ترهد ما فى أيدى الناس يحك الناس الثانى أن ترهد فى الدسا يحك الله، الثالث: أن ترهد أقوالك وأفعالك وأحوالك وانبرى منهم، وترحل عن علمك وعملك، الرابع: أن ترهد المقامات والتصرفات والكشف والكرامات عند الواردات، الخامس أن ترهد ما سوى الله، والراهدون هم الآمرون الوارثون ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفَرْدَوْسَ﴾<sup>(٣)</sup> ﴿وَيُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَيْعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَيْمَةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾<sup>(٤)</sup>

العاشر: الصبر، وهو حبس النفس عن الشكوى، قال الله تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾<sup>(٥)</sup> وقال تعالى

(١) سورة النساء آية ٧٧

(٢) سورة الأعراف آية ١٢٨.

(٣) سورة المؤمنون آية ١١.

(٤) سورة القصص آية ٥.

(٥) سورة آل عمران آية ٢٠٠.

نبيه محمد ﷺ ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَةِ وَالْعِشْيِ يُرِيدُونَ  
وَجْهَهُ﴾<sup>(١)</sup> وقال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصُّلُوفِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾<sup>(٢)</sup> وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا  
يُؤْتَى الصَّابِرُونَ أَجْرُهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾<sup>(٣)</sup> وهو ثلاث مراتب. الأولى الصبر على ترك  
المخالفات، بأن يحبس نفسه عن ما يخالف الشرع، وعن شكوى البلاء، والمحس  
الظاهرة والباطنة عن كل أحد، إلا عن شيخه، فإن شكوى ذلك إليه لا يقدر في  
صبره، لأنه يظفر في إصلاح ظاهره وباطنه، وإن أهل الله تعالى يفرحون بالبلاء ولا  
يشكوهها، وذكر أن بعض أصحاب رسول الله ﷺ أصابته البلاء، وكان يعرف  
الاسم الأعظم فقبل له: لو دعوت الله به يكشفها عنك، فقال: إن البلاء هدايا الله  
تعالى، وأنا أكره أن أرد هدايا الله، أرأيتم لو أمديتم هدية لشخص فردها عليكم  
فهلا تتصرون بذلك؟ قال: كذلك هدايا الله أحق أن تقبل منه هداياه، قال تعالى  
﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ مَسَاحِبَكُمْ فَتَحَمُّهُمُ عَقْبَى الدَّرِ﴾<sup>(٤)</sup> وإن الصبر مع الصبر ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾<sup>(٥)</sup>.

وبالحملة أن من قصد طريق الآخرة وأرد لعباده رادت عليه البلاء وتكاثرت  
عليه المحن، فيكون أشد حمة من غيره، وكل من كان أقرب فمصائب الدنيا عليه  
أكثر والبلاء عليه أشد، قال ﷺ: «أشدكم بلاء الأسياء ثم الأولياء ثم الأمثل  
والأمثل، يتلى الإنسان على حسب ديه، فإن كان في ديه صلابة ريد في بلاءه،  
واشتدت عليه البلاء، ولا تراه البلاء بلعبد حتى يمشى على الأرض وليس عليه  
خطيئة» وما أكرم العبد على الله إلا وراد بلاء عليه شدة، فإن لم يصبر على ذلك

(١) سورة الكهف آية ٢٨

(٢) سورة طه آية ١٣٢.

(٣) سورة الزمر آية ١٠.

(٤) سورة الرعد آية ٢٤.

(٥) سورة الشرح آية ٦.

ولا لم يصل لمراذه، ولا يستقيم له طريق بل يشتعل عن العبادة بما أصابه من الهم والعم والحزن والمكر. وذلك هو الحسرات المبين، ويفرغ قلبه من خوف الله وعظمته، وقال المفضل: من عزم على قطع الطريق فليجعل بين عيبيه أربعة أبواب من الموت: موت أبيض، وموت أسود، وموت أخضر، وموت أحمر، فالموت الأبيض الجوع، والأسود ذم الناس به، والأخضر وقائع البلاء بعصها على بعض، والأحمر مخالفة النفس والشيطان، له منه الصبر على الطاعات بأن يكلف كل عمل شاق يصبر عليها ارتكابه، لعل ذلك يوصلها إلى مرادها.

ثم قال في المعنى:

نفس المحب على الأسقام صابرة      لعل مسقمها يوماً يداويها  
لا يعرف الشوق إلا من يكابده      ولا الصباة إلا من يعانيها  
الله أعلم أن النفس قبل تلفته      شوقاً إليك ولكي أهيبها  
لانيها: الصبر على العزلة والخلوة ولمرار من الخلق جملة كافية إلا من شيخه.  
لانيها: الصبر على المحصور مع الحق وعدم التفرقة بالحواطر الموجبة للتشتت والتفرقة والخروج من الجمعية بالله، وهو — أعنى هذا الصبر — حقيقته التوقي عن ملاحظة الأغيار ورؤية الآثار، فعلى ذلك مرارة ومشقة شديدة في ابتداء الأمر، فيسعى للمساكن المكابدة للصبر على ذلك حتى تزول الوحشة ويحصل الأنس، فيقلب صبره لذة، وكراهته رضاء، وفرقه جمعاً، وجمعه فرقاً، ويطوى بساط الصبر.

وأنشد بعضهم في المعنى أحياناً:

إذا جيش الأحباب جيشاً من اجما      بيا من الصبر الجميل حصونا  
وإن ركبوا خيل الصلود معرة      أقما عليه للوصول كميا



وإن جردوا أنسيافهم لقتال لقياهم بالدل مدرعينا  
وإن لم يراعوا ودنا ووصال صبرا على أحكامهم ورضيا  
قال الجيد رحمه الله: الصبر نخرج المرارة من غير نفس ولا شكوى لأحد.

صبرت ولم أطلع سواك على صبري

وأخفيت ما بي منك عن موضع الصبر

بحافة أن يشكروا ضميري صبايق

إلى دمعني سرا فتجري ولم أدر

الحادي عشر: الشكر، وهو عد أهل التحقيق الاعتراف بنعمة المنعم على  
الوجه المخصوص، قال تعالى: ﴿لَيْسَ شُكْرُكُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾<sup>(١)</sup> وحقيقة الشكر  
الثناء على المحسن بذكر إحسانه.

الثاني عشر القناعة وهي الاكتفاء بالموجود، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ دُونِ ذَلِكَ فَهُوَ مَعْرُوفٌ﴾<sup>(٢)</sup>

قال بعض المفسرين: الحياة الطيبة في الدنيا القناعة، ثم قال:

اقنع بما يأتيك واستعمل الرضا فربك لا تدري أتصبح أم تمسي

فليس الصا من كثرة المال إنما يكون الصا والعقر من قبل النفس

وقال ابن عمر: الطمع فقر، والياس غنى، وسئل بعضهم عن ما يذهب العلم من قلوب العلماء بعد أن عقلوه وحفظوه قال: يذهب الطمع وشهوة النفس وطلب الحاجات إلى الناس، وقال رحمه الله: «القناعة كثر لا يفي» وقال الترمذي: القناعة رضى النفس بما قسم الله لها من الرزق، ثم قال شعرا:

(١) سورة إبراهيم آية ٧.

(٢) سورة النحل آية ٩٧.

الرق يأتى وب لم يسع طانه  
و فى القاعة كثر لا عاد له  
حتماً ولكن شقاء المرء مكتوب  
وكل ما يملك الإنسان مسلوب

الثالث عشر: التوكل، وهو الخروج عن الأسباب ثقة وتوكلاً بحسب الأسباب، بأن يكون بين يدي سيده كميث بين يدي العاسل، يقلبه كيف يشاء، فلا يكون له حركة ولا تدبير لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾<sup>(١)</sup> وقال بعضهم: قد يكون التوكل مع تعاضى الأسباب بشهود الحق تعالى فى الحركات والتدبيرات، فليس التوكل ترك الكسب ولا الكسب، بل هو سكون القلب تحت مجارى أقداره تعالى مع شهود الله بالتأثيرات فى أثر ما وعدم الخروج من حصرة المشاهدة فى الأشياء، قال تعالى: ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٢)</sup> وقال تعالى: ﴿وَهَرِىْ إِلَيْكَ بِمِصْرَ الْعَدُوِّ يُسِيطِرْ عَلَيْكَ رُطَبًا حَيْثُ﴾<sup>(٣)</sup> وقال: ﴿فَاتَّبَعُونِي مَّا كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٤)</sup> وقال: ﴿اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ﴾ فذكر التوكل مع السب فى كل من الآية والحديث، ولأن التوكل محله القلب والحركة بالطاهر لا تنافى توكل القلب بعد ما تحققه العبد أن التدبير من قبل الله عز وجل، لا من قبل العبد، ودل أبو على الدقاق للمتوكل ثلاث درجات: التوكل، ثم التسليم، ثم التعويض، فاستتركت بسكن قلبه وتطمين نفسه إلى وعد الله، وصاحب التسليم يكتفى بعلمه تعالى، وصاحب التعويض يرضى بحكمه.

فهذه أصول الطريق وليس لك بدور هذه الأصول وصول، ولا من غير هذا

الباب دخول، إلا أن يتكرم عليك مولانا بقبول

(١) سورة الطلاق آية ٣.

(٢) سورة المائدة آية ٢٣.

(٣) سورة مريم آية ٢٥.

(٤) سورة الملك آية ١٥.

وأما مراتب الطريق الثلاثة: شرعية، وضريفة، وحقيقة

فالشريعة ما جاء به النبي ﷺ عن جبريل عن الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالطَّيْلِ﴾<sup>(١)</sup> الآية، وقال ﷺ: «أثبتكم بشريعة بيضاء نقية لم يأت بها نبي قبلي، ولو كان أخى موسى في رمي، وسائر الأنبياء لم يسعهم إلا اتباع شريعتي ثمسكوا بها أولو الألباب فجروا ومشوا على كاهل الشريعة، فحاصلها لك متاعك وبي متاعى بالإنعام والفصل لهم من الله وهي لعامة المسلمين تبين الحلال من الحرام، ويقيم ١٤ حدود الله ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾<sup>(٢)</sup> والطريقة، هي متاعك ولك متاعى، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ لَنُحْيِيَنَّهُمْ﴾<sup>(٣)</sup> وقال ﷺ: «المؤمن أخو المؤمن، لا يمدله ولا يعقره، أمرهم شورى بينهم» فالطريقة قصده تعالى بالعلم والعمل، وقال: هي الأحل بالتقوى، وما يقربك إلى المولى من قطع الممار والمقامات.

والحقيقة هي الوصول إلى المقصود بسر بالروح، ومشاهدة نور التجلى، وقيل: أن يشهد بنور أودعه الله في سويداء قلبه، يشهد بذلك النور، إذ كل باطن له ظاهر وكل ظاهر له باطن، وسر الوحدة في الكثرة، والكثرة في الوحدة، ومثل بعضهم الشريعة بالسفينة، والطريقة بالبحر، والحقيقة بالمعادن، فمن ركب في السفينة عام في البحر، ومن عام في البحر لا يحبو من اطلاعه على تلك المعادن، فإذا ركب المرید سفينة شريعته واستعمل أنواع مجاهدته وصار يهوى عشقه ورغبته في بحر فيص طريقته اعتم جواهر حقيقته، ومثل بعضهم ذلك باللورة،

(١) سورة البقرة آية ١٨٨.

(٢) سورة الطلاق آية ١.

(٣) سورة الحجرات آية ١٠.

والشريعة كالقشر والطريقة كالب، وبحقيقة كالدهر، فلا وصول إلى الدهر إلا بعد معاناة اللب على نار المجاهدة ليظهر بها سر المشاهدة، فالشريعة على حدود فمن تعداها أقيمت عليه الحدود، والصريفة لها صدق وجهه معهود، فمن تعداه حرم الورود والحقيقة لها شهود باض في طاهر هذا الوجود وخارج عن طور التفرق المعداد، فاعلم أن الحقيقة نتيجة الطريقة والطريقة نتيجة الشريعة، لأنك إذا اصطفت - يعني عملت ما هو أقرب إلى الورع والتقوى، غير ملاحظ إلى الرخص من العلم والأعمال، بل تأخذ من الأحوط، ومن كل شيء أحسنه تظهر معها الطريقة، وإذا انتفعت الطريقة تظهر معها أسرار الحقيقة.

وسئل بعضهم عن حكم الشريعة والطريقة والحقيقة فقال: إذا أكل الصائم بطل صومه في الشريعة، وإذا اعتاب بطل صومه في الطريقة، وإذا حطر بماله سوى الله بطل صومه في الحقيقة، ولا يمكن الوقوف على أسرار الحقيقة إلا بإثبات الأعمال الميسرة ببيان صاحب الشرع، فإن كل طريقة تخالف الشريعة باطلة، وكل حقيقة لا يشهد عليها الكتاب والسنة فهي إحاد وريفة، ومن رعم أن العبور من حجب الشريعة والوقوف على أسرار الطريقة بما يخالف الشريعة فقد غلبت عليه الضلالة والسيان واستهواه الشيطان في الأرض حيران حتى أوقعه في أودية الحجران وأمكنه في مسكن الخذلان.

ولله در القائل شعراً حيث قال:

على طريق شرع الله يسير في العلا      فمن راع لأرض ثقل ولا سما  
ومن سار بالمشروع لله صانه      ومن راع مطروداً والله ما سما  
وقال بعضهم: الشريعة أن تعبد الله، والطريقة أن تحصره وتحشاه، والحقيقة أن تشهد وتراه، فالشريعة تعم ومجاهدة، والطريقة حب ومصادقة، والحقيقة

مشاهدة ومعاينة، ولا تبين بين الحقيقة والشرعية لتلازمهما معاً، لأن الطريقة إلى الله تعالى لها ظاهر وباطن، فظاهرها شرعية وباطنها الحقيقة، فبطون الحقيقة في الشرعية كبطون الزبد في اللبن، والمعدن في الكثر، فببطن حض اللبن لا يظهر الرید، والحمر بمثابة الطريقة، والمراد من الشرعية والحقيقة والطريقة إقامة العبودية والتحقق بها على الوجه المراد منك، ولذا دعى الله حبيبه ليلة الإسراء بقوله: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾<sup>(١)</sup> قال ابن عطاء الله. الحقيقة عين الحكمة، والشرعية أمرها، فمن خالف الأمر خالف العين.

تنبيه: اعلم أن الحقيقة مسببة على أسرار خفية وإشارات عليية ورموز عمجية والعار غريبة، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَمَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَبِهَاتٌ﴾<sup>(٢)</sup> الآية، (وقال تعالى) ﴿وَأَنقُضْ اللَّهُ وَوَعْدُكُمْ﴾<sup>(٣)</sup> وقال ابن عطاء الله: من عمل بما علم الله علم ما لم يكن يعلم، ولا يدري تلك الأمور إلا من سار في طريقة الأفراد وصاحبهم وكشف له عن سر حقيقتهم واستطل بطل ركبهم، وترقى بالصدق والعشق في حبهم، فأدركوه المدارك وسلكوه المسالك، لأن الطرائق عدد أعاس الخلاق، إلا طريقتهم واحدة، فإذا فهم تلك الأشائر ووردت عليه البشائر ساج، فإذا كنتم ما أطلعه الله عليه وأخفى ما ظهر من الأسرار لديه راده الله من فضله الوافر، وأمدده بمده السافر، قال تعالى في كتابه المجيد: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾<sup>(٤)</sup> فشكر الأسرار صوغها عن الأعيان، لأنها ليس في كشفها لهم فائدة،

(١) سورة الإسراء آية ١.

(٢) سورة آل عمران آية ٧.

(٣) سورة البقرة آية ٢٨٢.

(٤) سورة إبراهيم آية ٧.

ومثاله. كمثل من قدم لأهل القبور مائدة وأمرهم بالدعاء لها، فالبس على ثلاثة أقسام: مسكر، وهذا لا يجرى معه كلام، بل الكلام معه في ذلك حرام، والثاني عارف بالله، وهذا لا يحتاج، لأنه صاحب المقام، والثالث جاهل محب مرید مسلم معتقد، وهذا هو الذي يتكلم معه لبيان المرام، وهذا لما سئل ابن عباس عن سيد الناس ﷺ بقوله: يا رسول الله أحدث بكل كلام أسمع منك؟ قال: «نعم، إلا أن تحدث بحديث لا يبلغ عقول القوم ذلك الحديث، فيكون على بعضهم فتنة» وفي قوله ﷺ: «على بعضهم فتنة» إشارة إلى المسكر، فإن المسلم والعارف لا يكران ذلك لشرفهم على الأم، وفي رواية عنه ﷺ أنه قال: إني لأعلم في قوله تعالى: ﴿يَنْزِلُ الْأَنْزَارُ﴾<sup>(١)</sup> علما لو قلته بكفرتموني، وفي قول أبي الدرداء: لو قلت لكم كل ما أعلم لرميتهم بالقشيع، وفي قول سلمان الفارسي: لو حدثكم بكل ما أعلم لقتلهم: رحم الله قاتل سلمان، وفي رواية أبي هريرة: أعطاني جليلي محمد ﷺ حرايين من العلم، الواحد يشبه لكم، والآخر لو قلته لقطع مني هذا الحقوم، وفي قول كامل الأسرار الإلهية عني بن أي طالب: إن بين حبي علما لو قلته لزلتم هذه عن هذه، وأشار برأسه عن حخته.

واعلم بأن العلوم شتى، فعدم مشروع، وعلم مخير، وعلم مكتم.

وفي قول الشريف الرضي حميد على بن أي طالب قال في المعنى شعر:

|                            |                             |
|----------------------------|-----------------------------|
| يا رب جوهر علمي لو أبوح به | لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا |
| ولاستحل رجال مسلمون دمي    | يروون أقبح ما يأتونه حسا    |
| إني لأكتم من علمي جواهره   | كيما يمر بدي جهل فيعتنا     |

وقد تقدم من قبلى أبو حسن بن الحسين وأوصى بعده الحسن  
إشارة إلى أهم اطلعوا على أمور يجب كتبها عن الناس فكتبوها، وعلوم  
سحرها وطلبوا بتعظيمها فعظموها.

وقد قال القائل:

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه في العوس لعظما  
ولكن أهانوه فهانوا ودرسوا بحية بالأطماع حتى تبهما  
أى أهل العلم اللدنى الإلهى، يحب عليهم تعظيمه، وتعظيمه كتبه عن غير  
أهله، فيتجاهل العارف بما تجاهل به الجاهل، فيختفى العارف بالجهل فلا يعرف  
من الجهال، وربما سألوه عن أمر فلا يحبرهم به بكماله ورفعة مرتته ونظرة  
للحكمة السائرة لمخسسه فإنه من الحكمة التى يجب كتبها عن غير أهلها، فيحب  
على كل عالم بعلم من العلوم التى سرها مكنون أن يحفيه عن غير أهلها، فإنه عند  
غيرهم موهوم، للحديث: «حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يكذب الله  
ورسوله...» والحديث فى علم الماظم سر من أسرار الله وحكم من حكمة الله  
يقذفه فى قلوب من شاء من عباده، فكيف يجوز إفشاء سر الله؟ لأنه ربما كان فى  
إفشائه إفشاء سر الألوهية، وإفشاؤه كسر عند أهل التحقيق، فلا يبدى الأسرار إلا  
عند أهل الأذكار المعنوب عليه بالحال، وهذا ناقص عن درجة الكمال.

قال الشافعى ابن إدريس رحمته الله مشيراً لدنك المقام فقد.

سأكتب علمى عن ذوى الجهل طاقى

ولا أتر الدر النفيس على الرمم

فإن سر الله الكريم بفضله

وصادفت أهلاً للعلوم وللحكم

جلست مهيداً واستمدت ودادهم

وإلا فمخرون لئى ومنكم

ولنا ترى بعض السالكين إذا عبه الحال بئسك ببعض ما هناك أنكرت عليه  
الأصحاب والخلائق، ورموه بالزور وبهتان وترقوا منه إلى سب من ينسب إليه  
ومن يعول في ذلك المشروب عيبه، ثم يترقون إلى سب أهل ذلك الطريق  
ويستطيلون على أحوال أولئك العريق، فربما أورتهم سوء الأدب إلى العطب، فلذا  
أوجب الكتمان في مثل هذا الشأن، وإن الأولى ترك التكلم ولو بين الأقران لما  
يحمي في ذلك من الدسائس العساية، ولما في ذلك من المقامات العلية.

والأولى ما يثمر للمسكر على أهل الأحوال قول من قال:

|                             |                          |
|-----------------------------|--------------------------|
| حاطب الناس بالدى العزاه     | وتجسب خلاف ما ألعوه      |
| إن في الجاهلين عذراً عظيماً | لو يرون التحقيق ما عرفوه |
| من ما هم عن عيهم وهواهم     | صبروه بالسوء أو تلفوه    |
| متجاهل مع الجهول وسلم       | لهم في المحال مد مدحوه   |
| وإن كنت مبصراً عند عصى      | فاكتم الحق حيث لم يعرفوه |



# الباب الرابع

فيما يتعلق بالشيخ وشروطه وآدابه  
وبيان موضوعه وأحواله  
وبما يعلم من صلح للإرشاد والسلوك  
والمشيخة ومن لا يصلح



اعلم أن من كان متصديراً للإرشاد بشرط أن يكون له عقل يدل به إلى الهداية، وعلم يرشد به المهتدين لأمر دينهم، وإن لم يكن متحراً فليكن له اطلاع بقدر ما يريل به الشبه والتليس التي تعرض بالمريد في البداية، من أحوال التوحيد وغيره ليعني مراده عن سؤال غيره، عارفاً بكل ما يرقى المريد أو يقطعه عن الترقى من سائر الأعمال الظاهرية والباطنية، فإذا مرض مراده دواؤه، وإذا حث أفتاه، واقتار ينفي به التدبر والاقتدار، فيكون في ابتدائه قدرى وانتهائه حمى بالمثل وصماء يصفيه من الأكدار وأدب يجلسه مع الخبار وقناعة تورثه العناء وخوف يحجزه عن المعاصي ورجاء يسارع به إلى بخوات، وحس خلق يدفع به الحمقة، وشفقة تورثه الرفق، وآداب في نفسه كثيرة منها الرهد في الدنيا والتقليل منها، وعدم المبالاة بها وأهلها، والسخط، والجود، والكرم، ومكارم الأخلاق، وطلاقة الوجه، واجتناب الخلاعة والصحك، وملازمة الحلم والصبر والورع والخشوع والتواضع والتزهد في دناء الاكتساب، وملازمة الرطائف التي جاءت بها السنة، كقص الشارب وتقليم الأظفار وتسريح النحية ونسف الإبط وحلق العانة والبيحور وإزالة الروائح الكريهة، واجتناب الملابس اندقة وترك كل ما قيل فيه: إنه بدعة، ولو مباحة، ولا يعجب ولا يتكبر ولا يحتقر أحداً من المسلمين، ويرى لكل مسلم بركة.

ومن آدابه مع مراده أن يترحم مازلهم، الكبير كبيراً، والصغير صغيراً، لخير: «نزلوا الناس منازلهم، فإن لكل إنسان مقدماً» قال تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ إِلَّا لَكُمْ مَقَامٌ

مَعْلُومٌ<sup>(١)</sup> ويتألف كلا منهما من أربعة مقربا في صحته، وإذا أعطى مريدا شئاً أسر ذلك له، وأوصاه بكلمه، بما يشري أو شر يأتى، أو يفتح أو يكشف أو يواقع أو يحقّق أحد من الإحسان، وعينه الإخلاص في الصبح، وبذل الهمة في الإرشاد والتعليم فلا يخلو يوماً عن نعم من معه، أو من جلس معه، وعليه بالهمة عن ما في أيديهم، ولا يكلفهم في حق ما لا يطبقون، ولا يرتب عليهم من الأعمال ما يسأمون، ولا يكثّر معهم، لا بسا، ولا يقبض عنهم كل الانقباض ولا يصيق عليهم كل التصيق، ولا يقرهم على ما يجرى من الأحوال، ولا يأكل بحصرهم، ولا يكثّر بحالستهم، وإذا طسه أحدهم أن يذهب إلى بيته أو يأكل من طعامه، ولو كان محارته أو بقرته فلا يجبه، لئلا تسقط حرمة عندهم فلا يتفعلون به، ولا يجيب من دعاه بالتمرر والعفة، ويؤزّر عما ليرداد حياء، في كل سنة مرة أو نصفاً مرة، أو سدساً مرة، وبيلة واحدة، وتكون في عطايتهم على غاية التلطف، فيأدى أحدهم إن كان أكبر سناً منه: يا سيدى فلان، وبأعنى فلان، وإن كان مساوياً له يا أحنى وبأحسبى، وإن كان مثل أولاده: يا ولدى وبأحلى، ويحذر من السب والشتم والطعن لئلا تمر بهم منهم، ولا يتميز عليهم، فإن رصوا بخدمته لهم خدمهم من غير رياء ولا كبر، وإذا دخل عليه المريد يش في وجهه، ومن قبل يده قبل رأسه، وإذا صبح معه معروفاً كافأه، وإذا أراد مريده الانصراف دعا له من غير سؤاله، وإذا دخل هو على مريده فكون على أكمل الأحوال وأحسن الهيئات من نظافة الثوب وطيب الرائحة والمركب، وإذا جلس عندهم فبالسكينة والوقار، وتعطية الرأس، ولا يكثّر الالتفات، ولا يعث بلحيته

ولا بشيء من ثأبه، ولا ينام بحصرهم، ولا يمد رجله في مجلسهم، ولا يجد نظره في أحد، بل يكون خافض الطرف مسبل الأعين، ولا يسرع لهم في الجواب، وإذا كثر الكلام منهم صمت هو أو قام، ويتعقد من غاب منهم بالسؤال عليه والبحث عن سبب انقطاعه، ثم إن كان مريضاً عادته، أو في حاجته أعانه، أو له عذر دعا له، ولا يسيء خلقه عليهم، فإن لم يجد ملكة عند الغيظ فليقم من ذلك المجلس، فإنهم في الحقيقة يعتقدون به الخير، والحسن والعزم والعمو والمسامحة والأدب، ويتشبهون منه ذلك، وإذا حصر معهم في وظيفة عمل فيها بنشاط وقوة وهمة لتقوى همهم على ذلك، ويقرر لهم العلم لوارده بالأخبار والآثار، ولا يخرجهم عن دائرة العلم والأدكار والصلاة على النبي لمختار مد كان مجالسهم، فإذا تقرر ذلك فاعلم أنه يجب على مرید الطريق، يقصد عند رايته وتوبته واستيقاظه من نوم عملته شيئاً من أهل زمانه يمدته أو بالقياس، معتقد فيه الخير مؤمن على دينه، واصل إلى الله، حرم بالخال والمقال والمنازل والأقوال، مترقى مقامات الرجال الكمل الأخبار، شرعى حقيقى سلوكه على الكتاب والسنة، وذلك بعد تمام سيره إلى الله، مع مصاحبة إذن شيخ له مرشد واصل إلى تلك المقامات العلية أذن له، كذلك واصل أيضاً مسلسلاً إلى نبي ﷺ، عز وجل، بالصبط والحفظ ومعرفة الكل بالمقامات والترقى والإدراك بالسموك، لا عن جهل ولا عن حفظ نفس، ولا شهرة أمر، بل بمحوت النفوس دحوا حصرة القدوس، ومشاهدتهم لكثرة في الوحدة والوحدة في الكثرة، فالتعبير أن أحرمهم مشاهد محقق مثل أولهم، فإن سألت كبيرهم عن أمر أجهلك صغيرهم، فكبيرهم مثل صغيرهم وعكسه، لتحقق

اجمع بالمشاهدة، قال تعالى: ﴿فِيهِدْهُمْ أَمْتًا﴾<sup>(١)</sup> وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا  
الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ  
تُفْلِحُونَ﴾<sup>(٢)</sup> والعارفون بالله هم نوسائل، فالشيخ الواصل وسيلة مريده إلى  
الله، وبابه الذي يدخل منه على الله، فهم أبواب الحق، وقال أبو علي الدقاق،  
قدس الله سره: الشجرة التي تست بنفسها من غير صاحب لا تعيش ولا تثمر، وإن  
عاشت وأثمرت كان ثمرها من غير لذة، وسنة الله جارية على أنواع الأدب من  
السبب، كما أن الوالد والناسل الحقيقي لا يحصل إلا بواسطة والد، والوالدة كذا  
التوالد، والنسل المعوى حصوله بغير مرشد معتذر لحكمة ما جرت عادة الله به،  
ومن ذلك أن أقطاب الأرض لم يخرجوا عن الوسائل، فكان السيد السوى  
مشاشي، والدسوقي شاذلي، قالت الأشياخ: من لا شيخ له مرشد فمرشده  
الشیطان، وقال بعضهم: لولا المرق ما عرفت ربي.

ولقد أجاد أستاذنا السيد مصطفى السكري حيث قال:

إن لم تكن تقصد لحي سعادى لا تزل مارل الأسادى  
فإن أردت فخذ أمامك سيدا يحملك من طرد ومن إبعادى  
من بعد سيرة بهاء ظل ركابه واعرف له حق المقام البادى  
إياك أن ترقى بلا درج فإن تصعد هلكت ولم تنل المرادى  
أو أن تسير بغير معرفة بأرض الفوز أرض ذر المكان الشادى  
هذى عروس أين من يجلى له هذى للملحة أين من يك صادى  
إياك دعوى الوصل قبل وصاها فإذا فعلت فضحكت في الأشهادى

(١) سورة الأنعام. آية ٩٠.

(٢) سورة المائدة آية ٣٥.

فالزم إلى حى السكون ميمما أرض الخفا ومنارل الأفرادى  
 فإذا ظفرت أيها الطالب الصادق بالشيخ المذكور العارف بدقائق الطريق فشد  
 عليه كلتا يديك فإن وجوده كالكبريت لأحمر، لا يكاد يوجد لندرتة، فسلم  
 نفسك لخدمته، واجتنب الفحش لمحدثه، واجعل الصدق حالك والعمل موالك،  
 والنساء فى اختيار الشيخ فائدتك ورسمالك، وترك الآثار والأغيار رأس مالك،  
 وكن بين يديه كالميت بين يدي العاسل يقبه كيف يشاء، ليظهر لك عاء العيص من  
 جنابة الاختيار والاقتدار، فبا سعادة من أحسن أده مع أستاذة لأن المشايخ  
 العارفين الواصلين أبواب الحق والواسطة بين المرشد وبين الله تعالى.

تنبيه: قال الشيخ عبد العزى الباسى فى شرح ديوان سيدى عمر بن الفارض،  
 رحمه الله: اختلف علماء المحققين أنه ليس من المتأخرين فى الاكتفاء بالكتب عن  
 المشايخ، ثم كتبوا بالبلاد فكر أجاب على حسب فتحه، وجملة الأجرية دائرة على  
 ثلاثة: مشيخ التعليم نكفى عنه الكتب لليب حادق يعرف مدار العلوم، وشيخ  
 التربية تكفى عنه الصحة لذي عاقل دصح، وشيخ الترقية يكفى عنه اللقا  
 والترك، وأخذ كل من وجه واحد، ثم انشأ النظر إلى حال الطالب، فاليلد لا بد  
 له من شيخ يريه، والعطل اللبيب تكفيه الكتب فى التربية، لكنه لا يسلم من  
 رعونة نفسه، وإن وصل لا بتلاته برؤية نفسه.

الثالث: النظر للمجاهدات فى التقوى لا تختص إلى شيخ فى تمييز الأصلح  
 منها، وقد يكفى ذو الهمة بالكتب، ومجاهدة الكيف، والترقية لأبد فيها من  
 شيخ يرجع إليه فى فتوحها كرجوعه عليه السلام ليعرض على ورقة بن نوفل لعلمه بأخبار  
 النبوة ومبادئ ظهورها فحماه الحق، وهذه لطريقة قريبة من الأولى والسنة معها،  
 والله أعلم.



سازمان اسناد و کتابخانه ملی  
جمهوری اسلامی ایران



# الباب الخامس

في آداب المرید مع شيخه



اعلم أنه لم يبلغ أحد إلى حالة شريفة ودرجة منيرة إلا بصحبة الأشياخ والاجتماع بهم، والأخذ عنهم نمسا بنفس، وملاحظتهم وملازمة الأدب معهم، ودوام خدمتهم، ومن صحبهم على غير طريقة الاحترام حُرِمَ فوائدهم وبركات نظرهم، قال سيد الطائفة الجيد رحمته من حرم احترام المشايخ ابتلاه الله بالمقت بين العباد، تسأل الله العافية، وقال بعضهم: بما حُرِمَ المریدون الوصول إلا بتركهم الأصول، وعدم الاقتداء بالمشايخ وبسلوك بالهوى، فطالت عليهم الطريق، وربما مات أحدهم في أثناءها، ولم يحصل له حاصل، وقد بعضهم: من جالس هذه الطائفة ثم لم يتأدب معهم سلب الله نور الإيمان منه، قال الشيخ الأكبر محيى الدين ابن العربي:

|                             |                              |
|-----------------------------|------------------------------|
| ما حرمة الشيخ إلا حرمة الله | فهم بما أدب الله بالله       |
| هم الأدلاء والقربى تؤديهم   | على الدلالة تأييدا من الله   |
| الوارثون هم للرسول أجمعهم   | فما حديثهم إلا عن الله       |
| كالأنبياء تراهم في محارهم   | لا يسألون من الله سوى الله   |
| فإن بدا منهم حال توهمهم     | عن الشريعة فأتركهم مع الله   |
| لا تتبعهم ولا تسلك هم أثرا  | لهم داهلون العقل في الله     |
| لا تقتدى بالذى رالت شريعتهم | عنه ولو جاء بالأنباء عن الله |

فآداب المرید مع الشيخ كثيرة، وسذكر مثبته.

منها: أن لا يدخل عليه إلا مطهرا، ولا يطرق عليه باب خلوته إذا كان فيها، بل يذكر الله جهرا فإذا سمعه وأراد الاجتماع به وأمره بالدخول دخل عليه، وإلا انصرف، وأن لا يجلس في مكان حيث يراه إذا دعه سمعه، وإذا جلس عنده ألقى

رأسه وصمت بلسانه وقبه فلا ينكلم بحضرته ولا جواباً، وإذا تكلم خفض صوته، ولا يكلم شيئاً مما حطر له من محمود أو مذموم، لكن لا يذكر من الخواطر إلا ما دام وتكرر عليه، ولا يذكره بحضرة ساس، وأن يسلم لشيخه جميع ما يقوله، فلا يعترض عليه قطعاً ولو بالقب، فإن الشيخ ربما يكون رأى بالمريد شيئاً لا حقيقة له، مكرراً به لسوء أدب وقع منه وهو لا يشعر، ووقع لسيدى يوسف العجمي عليه السلام أنه امتحن مريداً تعرض فيه الخير، فلم يمر منه، وكانت المقراء عندهم عيرة منه لما رأوا تقدم الشيخ له، فأراد أن يعلمهم بمرتبته وأنه يستحق ذلك دونهم، فأمره أن يذهب لمكان ويأتى بالمرأة التى فيه، ويأتى صحتها بالجرة، فذهب ذلك المريد فوجد المرأة والجرة فأتى بها ودخل على الشيخ بالمرأة والجرة، فأخذ الشيخ المرأة والجرة ودخل مكاناً وأغلق الباب عليهما ساعة، فتعبرت المقراء كلهم إلا ذلك الشاب، لم يتعمر بملك، فقال الشيخ له بعد ذلك: ما ترى؟ فقال: يا سيدى ما اتخذت معصوماً من الوقوع فى القدر الله تعالى، وإن سيأتكم حساسات فلا تنصر الإساءة مع الحب، ولا تمنع حسنة مع البعض، وإنما صحبتك لأنك عارف بالله لتدلى على الله، والصريق الموصل إليه، لأنك أعرف بها معنى، قال له: اذهب بارك الله فيك.

واعلم أن الفور لا يكون إلا من النفس وعدم المعرفة بالله، لأن من عرف الله وداب نفسه لا يكون له اعتراض على الله فى فعله أبداً، خصوصاً مع الأشياء، فيكون معهم كالبعال ومع غيرهم كاترب، لا قيمة له فى حياته، ولا جاهها ولا مقاماً لخير: «من ظن أن له قيمة عند ساس سقط من عين الله، ومن مير نفسه على فظهر صار الوجود ينعى».

ومن آدابه أنه لا يأكل مع شيخه حتى يدعوه ولا يمشی أمامه إلا ليلاً، أو لضرورة، ولا يكتم عليه شيئاً من أحواله، ولا يفعل معهما إلا بمعرفته، ويقوم ليلامه، ويقل عليه إذا جاء، وإذا أراد أن يذهب استشاره، ولا ينام بمحضته، ولا يتشاءب ولا يتكلم ولا يستند على شيء ولا يتربع إلا أن يأمره، ولا يأكل وهو ينظر إليه، وإذا أمره بأمر امتثله، ولا يتأول كلام شيخه في أمره أو نهيه، بل يحمله على ظاهره، ويسعى فيما يديه إليه، وإن كان ظاهره مخالفاً لظاهر النقل، فإن الشيخ أوسع اطلاعاً منه، وما خود عن الشيخ العهد بالصبح لكل مسلم ويتقدير أنه علط يبارك للمريد في امتثال أمره أكثر مما يفعله المرید بهوى نفسه، وفي قصة موسى والخضر في ذلك كفاية لكل معتبر، فإن موسى لما أراد صحة الخضر حفظ شروط الأدب، فاستأذن أولاً في الصلوة، ثم شرط عليه الخضر عدم المعارضة في حكم، فلما خالعه موسى تجاوز الخضر عنه أول مرة، والثانية، فقال له في الثالثة، التي هي حد الكثرة ﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ فكان موسى في مقام التعليم، فإن الخضر كان في علوم الهاتل أهل من موسى، بشهادة الله تعالى له وتزكيتة.

ومن آدابه مع شيخه أنه لا يلبس ثوباً ولا يبطأ له على سجادة، ولا ينام على وساده، ولا يسبح بسبحته لا في عيبته ولا في حضوره، وإذا ذهب له شيخه قميصاً أو نعلأ أو رداء فليظهر توقير ذلك الشيء وليجتهد في نفسه أن يكون على أخلاق الشيخ من الأحوال والدين والطافة الظاهرة والباطنة، فلا يسيء الأدب مع ذلك الشيء الذي كان من ملوس شيخه، ولا يفعل معصية وهو لابس، ولا يعطيه لأحد غيره، ولو أعطاه ما أعطى فري يكون شيخه طوى فيه سرّاً من أسرار

الفقراء مما يغنيه في الدارين ويقربه إلى حضرة الله عز وجل، وإنما جمع له فيه جملة من أخلاق الرجال، كما طوى رسول الله ﷺ لأبي هريرة ثوباً وصمه إليه، فما نسي بعد ذلك شيئاً.

والأشياخ ليس فعلهم مبدى لأن مقامهم يعلم عن اللعب، ولا يحشى بعمل أعطاه له إلا في مواطن الفرح، قال اشعراى في مدارج السالكين: وقد وهب بعض الأشياخ لمريده رداء فرأى ذلك المرید قد بسط ذلك الرداء على رجله، فقال له: يا ولدى احفظ الأدب مع أثر لفقراء وعظمه، وقال في الكتاب المذكور: قلت: وقد رأى شيخى رحمه الله يوماً وضعت رداء على رجله فقال لى: يا أحمى الرم الأدب مع من خالطه من ناطق أو صامت، فإن الله عز وجل ما جعل الرداء للرجلين وإنما جعله للكتفين، قال: وقع لى مرة أنى استحييت أن أمشى فى حارته بعمل، ففعلت بعملى ومشيئت حقيقاً فأعجبه ذلك منى، وقال لى هو بحالسه بمفص صوت. إذا كان هذا أده مع محنوق لا يملك كعنه صراً ولا نعاء، فكيف يكون مع الخالق؟ وسر بذلك رحمه الله، وكان سيدى أبو السعود أبو العشائر شيخ السيد داود الأعزب يقول: المرید الصادق هو الذى لا يتعب شيخه فيه، وكان يقول: ليس المرید من يتشرف بشيخه، إنما المرید من شرف شيخه.

ومن آدابه أن لا يجلس قط بين يدى شيخه إلا وهو مستوقر، كجلوس العبد بين يدى سيده، وليحذر كل الحذر من الإكثار من محالسته له فيهن عليه وتذهب حرمة من قلبه فيحرم بركته ولا يتفع به، كما هو شأن نقباء الأشياخ، فلا يتفع به الخادم ولا الولد ولا الروجة لاطلاعهم على مساوى الشيخ.

ومن آدابه إذا قام من بين يديه لا يوليه طهره، بل يقوم موجهًا له حتى يتوارى بحدار أو غيره، فإن المريد لا يترقى إلا إن لم حرمة الشيخ، فإن قأدبه مع شيخه يرقه إلى الأدب مع الله تعالى، فمن لم يتأدب مع شيخه فهو في حضرة الدواب.

ومنها: أنه إذا دخل مكان الشيخ ولم يره جلس متأدبًا كأنه بين يديه، وعليه إكرام أولاده وأصحابه وأصدقائه وعشيرته حتى ما لا يعقل في حياته وبعد مماته، ويدخل السرور عليه ما أمكه، كتبليغ سلام محب، أو ثناء معتقد إن قيل ذلك، وإذا سمع من أحد شيئًا يكره في حق أستاذه لا يبلعه إليه، وعليه رده ما استطاع، والحواب بالأجوبة الحسة، وإقامة الدليل والحجة إن قدر، وإن لم يرجع هذا المنكر لزمه البعد عنه وعدم محالسته له، وإذا شاوره شيخه في شيء رده إليه، فإن ألم الشيخ عليه قال له: لعل الأمر كذا وكذا، ورأيكم أنم وأكمل، وأن يكون شيخه عبده له من المحبة والاعتقاد لا يوازيه أحد من أهل عصره حتى يتسع به.

واعلم أن عمدة الأدب مع الشيخ هو المحبة له، كمن لم يبالغ في محبة شيخه بحيث يؤثره على جميع شهوات نفسه لا يمنع في الطريق، وأجمع الأشياء أن شرط المحبة لشيخه أن يصم أديه عن سماع كلام كمر أحد يحط في شيخه، فلا يقبل عدل عادل، حتى لو قام أهل مصر كلهم في صعيد واحد لم يقدرُوا أن ينفروه من شيخه، ولو غاب عنه الطعام والشراب لاستعنى بهما بالنظر إلى شيخه، لتخليه في باله.

وبلغنا عن بعضهم أنه لما دخل هذا لمقام سم وعين من نظره إلى أستاذه، قال سيدي عبد الوهاب الشعراني في كتابه «قواعد الصوفية» سمعت سيدي على الخواص يقول: ألطف ما في المحب ما وجدته في نفسك من العشق والشوق المفرط والعشق المعلق حتى منعت ذلك اليوم وبدد طعام، ولا يدري ذلك الحب فيمن

لا يتعين لك محبوب، فإن من ذلك تترقى إلى محبة الله عز وجل المطلقة، قالوا من أصعب ما في الحب أن يصير المرید يحب الحجر من حيث كونه محبوباً لشيخه، لا من حيثية أخرى، لأن الحب للشيخ عمدة الوصلة لا الحجر، فافهم.

ومن آدابه. أنه إذا حصل له حاية على أحد بعمر حق وجب عليه أن يقر بين يديه بالحماية على الفور، ثم يسلم لما يحكم به عليه شيخه من العقوبات للنفس على تلك الحماية، من سفر بكفة له، أو خدمة شديدة، أو جوع، أو هجر، أو نحو ذلك، وأجمعوا أنه لا يجوز للشيخ التجاور عن رلات المریدين، لأن ذلك تضييع لحقوق الله، وحقوق عباده.

ومن آدابه أن لا يفعل مع شيخه شيئاً يوحش قلبه منه، وإن الله يعضب لمعصية الشيخ ويرضى لرصاه، كوالد الجسم، بل أعظم، لأن الشيخ لا يأمر المرید إلا بما أمر الله، فمن خالفه فقد خالف الشارع وحرم ووقع في غضب الله تعالى، بحسب تلك المعصية من كثرة أو صغرة، فبما شقاوة من تعير قلب شيخه عليه وقتاً من الأوقات، فلهذا كان غصه أصعب من غضب والد الجسم، وبه تعلم أن حقه مقدم على حق والد الجسم.

ولله در القائل:

أقدم أستاذي على حق والدي

وإن نالني من والدي العز والشرف

فذاك مربى القلب والقلب جوهرى

وهذا مربى الجسم والجسم من صدف

ويحب على المرید إذا لم يجد من يتأدب به في بلده، ويعظم في عينه ويعتقده أن يسافر إلى من هو مصوب بإلرثد والسوك والترقى في المقامات، عدا ما هو



من أرباب الرياسة والإمارات والسيئات تحت الإشارات وهم المطوعية، ثم إن قابلك الشيخ المسلك بالحما فاصبر، لأن طريق الله عزيزة، وربما فعل معك ذلك ليريك عزيزة الطريق لتدخل إليها بالتعظيم والتبجيل، لأن الشيخ قد يمتحن المريد كما وقع لسيدى أبي السعود الجارحي مع الشيخ محيى الدين اللقاني، لما جاء يطلب الطريق فقال الشيخ:

يظن الناس بي خيراً وبي  
أشراً الناس إن لم تعف عني  
نصب الناس، وأشراً، فعارقه ساكتاً، وقال: هذا لا يعرف الفاعل من المفعول، فرأى رؤيا تدل على مقام الشيخ فحاده بقصها عليه، فلما رآه الشيخ قال: الصواب رفع الناس وحفض الناس، فقال الشيخ محيى الدين: الله أكبر، فقال له الشيخ، على كل حال، كيف تطلب الطريق وتفر من نصبه، وتأتى برفعه، فتاب واستعمر.

وقال القشيري: يحب على كل من رار شيخاً أن يدخل عليه بالحشمة والحرمة فضلاً عن الشيخ، ثم إن أهله الشيخ لشيء من الخدمة عد ذلك من حريل العم، وليحذر من أن يقيم ميران عقله الجذر الناقص على من يدخل عليه من الأشياء، وربما مقته ذلك الشيخ فلا يطلع أبداً بعد ذلك، بل بعضهم تنصر ومات على دين الصراية، لأن من لم يتأدب مع الأشياء سلب منه الإيمان، وقد حكى عن سيدى محمد الشاوى أنه قال: لما من الله عني به أبي ما دخلت قط على شيخ أو جالسته إلا وميزان عقلى مكسورة، ورى نفسى تحت بعاله، ولا أخرج من عنده إلا بعد وفائدة.

ومن آذابه أنه لا يطلب من نسخه رد الخوب من رؤيا رآها، أو حادثة حدثت، بل يذكر حاجته ويسكت، فرب أحبه شيخه كان وإلا قبل يده

وانصرف، وأعرض بقية عن الجواب نثلاً بصير لشيخه محكوماً بإلزام الجواب له، وهذه طريق تخالف طريق الفقهاء، لأن طريق الفقهاء مواجيد، يجذوها، وإذا قال مريد: أنا ما فهمت هذا الكلام، يقول له الأستاذ: أحسن مرآة قلبك تفهم، ومنه قول الإمام:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي

انتهى. فعمل على طلب الخلا لا غير، وطريق الفقهاء أقوال يقلونها فقط، ومن قال من المريدين لشيخه: «ء» على طريق الاستمهام لم يسمع قط في طريقهم، ومن قال من الفقهاء لشيخه: لم كان الأمر كذا؟ فليح، فلكل طريق طالب بما سها.

ويلازم مطالعة تأليف شيخه وتقديمها على غيرها من الكتب، ولا يعدل عنها إلا لضرورة طلب ما هو أبسط منه أو كتاب أحال هو في تأليفه، ولكن لا بد من استبدانه والوقوف عند أمره، ولا يطلب علماً على أحد وشيخه يعرف ذلك العلم، فإن لم يعرف، أو كان غير متصذر للتعليم شاوره على من يقرأ عليه، فإن أشار عليه لأحد لزمه على أي حالة كانت، وإن قال له: اقرأ على من شئت فيختار لنفسه العالم العامل الصالح المكسر الخليم المتواضع المعتقد في طريق القوم، ويكون طلب علمه بعد سلوكه في نظري لا قبل، فإنك إذا وضعت العسل في قشر الحنظل تمرر بمرارته والتبس على الجاهل أن العسل من أصله مر، وكان السلف الصالح إذا قدم هم إنسان بدوه الطريق، وتعلم أخلاق الفقهاء، ثم يتعلم العلم.

وهنا: إن سأل شيخه عن مسألة فسم يرد عليه جواباً فلا يعيد عليه السؤال في ذلك الوقت بل يسكت به إلى وقت آخر ويرعب في الاجتماع عليه ويؤلف

القلوب إليه، ولكن إن أمره الشيخ أن يحدث أحداً من أصدقائه أو غيره وجب اجتنابه، ولا يغتر هو بإظهار شيعته بحجة ذلك الطريق، لأن من شأن الشيخ الإقبال على كل الناس حتى لا يصير له عدو قط إلا من المجرمين الجهال، تسعة ما هو عليه من الأخلاق الحميدة، وإذا أقامه الشيخ في خدمة الفقراء، سفرًا أو حضرًا، دون أن يجلس مجالس الذكر والعلم لا يتكدر من ذلك، فإن الشيخ إنما يستعمله فيما يراه خيرا له من سائر الوجوه كلها، ومتى تكسر المرء من تلك الإقامة أو رأى أن اشتغاله بغير ذلك أفضل فقد نقص عهد شيخه، فإن الشيخ أمين من جهة رسول الله ﷺ على أمته، بأن يعمل بهم ما يرى فيهم أنه يقدمهم وينهاهم عن ما يوحهم في المقامات، فقد يكون ما يطله المرءون يورث عجا ورياء وشهرة، ومدحًا بين الناس فيحشر مع الحاصرين، وروى عن بعضهم أن شيخه أمره بخدمة العمل في الاصطبل حتى دنت وفاة الشيخ، فتناول أكابر أصحابه للإذن لهم بالخلافة بعده، فقال الشيخ: اتوني كفلاً، فأتوه به من الاصطبل، ففرش له سجادة فقال له: تكلم مع إخوانك في الطريق، فأبى هم لعجائب والمرايب نظماً ونثراً وسجعا، حتى انبهرت عقول الحاصرين، فرجعوا الدين كانوا يتناولون للإذن وتعجبوا من ذلك، وكان هو الخلعة بعد شيخه، فتعلم أن الأمور التي يقع فيها المع راجعة إلى الشيخ لا إلى المرء.

ومن آدابه أن يكون فصلا لما يأمره به شيخ أو ينهاه، لا سيما بحضرة من ليس من القوم، بل يفهم بالإشارة والرمز بأن لا يفع بمجرد اعتقاده في أستاذه ويتساهل فيما يأمره به أو ينهاه عنه، ويقور: بطر سيدى بكفى، فإن ذلك جهل في الطريق، وقد قال بعض الصحابة لرسول الله ﷺ: أسألك مرافقتك في الجنة، فقال ﷺ: «أعنى على نفسك بكثرة السجود» فلم يجبه ﷺ إلا بالعمل لا بالاتكال

على ذلك، وفي الخبر: «من أبطأ عمله لم يسرع به نسبه» وكان سيدي علي وفا يقول: لا تطلب من شيخك أن يمحك العلم والأسرار والترقي وأنت لم تظهر من الخش وأعمال الفجار، فإنك إذا وصفت العمل — كما مر — في قشر الحظي تمرر بمرارته، والتبس على الجاهل أن العمل من أصبه مر.

ومن آدابه. أن لا يتساهل بمحر شيخه له، فقد قال أهل الطريق: كل مرید هجره أستاذة فلم يتأثر من ذلك ولم يشق عليه ولم يبادر لتطبيب خاطره مقته الله، ومكر به وطرده عن بابه، وقال بعضهم: كل مرید خاف أحدًا من الخلق مع وجود حب أستاذة فهو كذاب في استداده إلى الشيخ، لأن المرید مع شيخه كولد اللبوة في حجرها، أترأها تاركة ولدها لم يرید اعتياله، لا والله، وقال بعضهم: إذا صحت نسبتك من شيخك، وهي حيث هم، والعمل بمقتضى أمره، كان تأثيره بالإمداد فيك أعظم من تأثير أدراكك وجميع أعمالك، وقال بعضهم لا يظالموا الشيخ بأن يكون خاطره سمعكم، بل طالبوه أنفسكم بأن يكون الشيخ في خاطركم، فعلى مقدار ما يكون الشيخ عندكم تكونون عنده، لأن همته مقروبة إلى حضرة الحق، لا إليكم، فالمرید هو الذي يتعلق به، ويسعى لك أن لا تفارق شيخك ولا خدمته حتى تعانى الطريق حالاً وقالاً وعلماء، وتكثر من شكر الله الذي جمعك عليه، فإن كل مرید لم يصادف رجلاً يريه يخرج من الدنيا وهو ملوث بالذنوب، ولو عبد الله عبادة شغلين، لأن الشيخ يخرج من الصيق إلى السعة ومن الظلمة إلى النور ومن الجهل إلى العلم.

ومن آدابه. أن يرى كل خير أصبه من الله كرامة وبركة لشيخه ورسوله، فإن نور كل مرید من نور شيخه، وما تراه أيها المرید فيك من السر والمدد فهو من فيض أستاذك، وجميع ما تراه من نقص والمواحيش فهو من صفاتك، فإن

رأيت شيخك رديقاً في عيك فأنت رقيق، وإن رأيت صديقاً في عيك فأنت صديق في علم الله، وأما حقيقة الشيخ فلا يعرفها إلا من أشرف على مقامه، أو كان أعلى مقاماً منه، فإن شيخك مرآة وجودك التي تصلح بها نفسك، قال أمر المرید حیث أن تجلی له طوبه بصمات أهل الصلاح والولاية، فإذا كشف لبصيرته عن قلب أستاذه رأى المرید صورة إصلاحه وولايته في صماء مرآة أستاذه، فيظن أن أستاذه هو الصالح الولي فيستمد من بركات ملاحظاته المتوالية وهمه الغاية، ثم لا يزال يطلب من أستاذه الدعوات الميعة والخواطر الشريفة ويتوحد إليه تودد المستأنس حتى يفتح إسرافيل العاية في صورة قلبه روح التخصيص الأدمي، فهناك يشهد أستاذه هو آدمي الرمان ومالك أرملة الأزمان بحكم الإرث لصاحب هذا المقام فيعطيه تعظيم الشاب لأبيه المهدي.

ومن آدابه أن يصبر تحت مناقشة شيخه له ومخالفته لأعراسه، فإن ذلك دليل على أن الشيخ شمس من رائحة الصديق، ولولا شمس من ذلك ما نفعه، وكان عامله معاملة الأحناف من الملاحظة والترحيب والتأليف، بل يثبت هذا المرید على مناقشة شيخه، فإن طريق الله لا تكون إلا بعد أن يموت مریدها كذا كذا ألف مائة، فإن كل مخالفة الهوى مائة، والأهوية لا تنحصر.

ومن آدابه أن لا يبدأ شيخه بالسؤال عن شيء مطلقاً إلا لضرورة، كأن يسأله عن بيان شيء من الأحكام الشرعية، أو رؤيا، أو واقعة، وبيان ذلك أنه إذا بدأ شيخه بالسؤال فقد أحوجه إلى رد الحروب، فيورث المرید زهواً وعجباً على الإخوان، ولا يعثر بحلاوة كلام الشيخ له ويظن أنه صار عبده في أعلى مقام، فإن من سياسة الدعي إلى الله أن يؤلف الضعفاء بالكلام الخلو والإحسان وتخفيف الأوامر، فإذا رسخوا في الطريق فله التحكم فيهم كيف شاء، فيرجحهم بحر الكلام

ويعتصم من لديد الطعام والنام، من إشارة قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا تُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾<sup>(١)</sup> ويحذر مرید من محالسة شيخه على الدوام، وإذا سأل أستاذه عن شيء من أحواله الناطقة أجابه على الفور من غير تكبر، فإن الشيخ إنما يريد أن يعلم مقامه، ومن أعظم ما يقع للمريد فيه من سوء الأدب عدم حضور مجلس الذكر، فيذكر للشيخ، من ظهر له صدق عذره وإلا ناقشه ويؤنس له عدم صدقه ليتوب، ومن علامة صدقه الدم على جواب ذلك المجلس حتى تصيق عليه الدنيا بما رحبت، ويترك عشاء وعده من شدة الأسف، كالذي مات له عزيز، ولا يرال في تشويش حتى يرضى عنه شيخه، وأقبح ما يكون من الناس الذين يسمعون بحال الذكر في يوتهم ولا يحصرونها، وينهي أن يوبح نفسه محضرة إخوانه، ويقول: يا فوزكم، حضرتتم مجلس الذكر، وجالستم ربكم، وذكرتموه، وبا شقاوتى حيث حرمت ذلك، لأن ذكر الله ومحالسه لا بعد لها شيء.

ومن آدابه أن يتجرد بالكلية إلى خدمة شيخه إذا سافر معه ولا يفارقه طرفة عين، إلا لضرورة، يتعمف من أطعمة ساس الدين يعرمون على الشيخ، ولا يأكل في السفر إلا سد الرمق، لأن ذلك نافع له من وجوه كثيرة.

منها: قلة حاجته للول والعائط وريح، لا سيما في المركب والطريق القابل الماء، وإذا نام الفقراء فيمكن نفيهم سهرًا لا ينام، وإن تناوب النوم بالنوبة فلا بأس، وإذا أراد الشيخ بعض المريدين يسهر أو معهم، أو من الذهاب لبيت من عزم عليه لا يتكدر، بل يفرح لكون الشيخ اعنى به دون إخوانه، وميزه عنهم،

لأن ذلك دليل على أن الشيخ غير عاقل عن تربته، وكذا لو مشاه طول الطريق وركب غيره لا يتكدر، بل يفرح ويمشي في ركابه، ويموز بخدمته، وكل هذه الأمور إذا فرح بها رفته إلى مراقى الكمال، والله على حميد.

ومن آدابه أن لا يعشى سر شيخه، ولو نشر بالمشير، ولا يجوز للمريد أن يتحسس على مقدار نوم شيخه أو أكله، أو كم يتوضأ في اليوم والليلة مرات، أو هل يأتي النساء كثيراً أو قليلاً، فكل ذلك من عقوق الوالدين وكشف لسواتهم، والعاق لا يرفع له إلى السماء عين، وربما كان اطلاع ذلك المريد على تلك الأحوال نقص مقام شيخه في قلبه، لجهه بأحوال الكمل فيهلك، كما مر، ويسعى أن لا يسافر إلا بإذنه مطلقاً، ولو لسفر حج، لكن لا يخفى أن سفر الحج هو المحتاج للإذن، لا نفس الحج.

ومن آدابه أن لا يتزوج امرأة طلقها شيخه أو مات عنها، وإذا حصل منه هوة في حصرة شيخه رجع وناب، لو تعافل عنها الشيخ، خصوصاً ودأب المشايخ الإحصاء عن بعض هفوات من المريدين سيما إذا كان قريب عهد باجتماعه عليه، يريد ذلك تأليفه، وإذا أمر بخدمة أحد خدمه وقيل يده، ولو كان أنفص قدراً منه، فيما يرغم، وإذا معه شيخه سنا من مباح امتشه، لأن الشيخ إنما قصده للمريد الترقى، والمباح لا يترقى فيه، ولا ثوب ولا عقاب والمباحات ليس فيها سبيل للمريدين جملة واحدة بخلاف الأشياء، لأهم في مرتبة ورثة الشارع، وقد كان عليه السلام يأتي المباح توسعاً على أمته، وكذا المشايخ يأتون ذلك توسعاً على مريدهم، لو وقعوا فيه، وذلك لأن فعل المباح تنفيس للنفس من مشقة التكليف، والمريد الصادق لا يعمل من العادة إلا نادراً نحو كل شهر مرة بخلاف المريد الكاذب، فإنه غالب أوقاته في المباح.

واعلم أن كل مرید متى صح على شيخه بأقوال العلماء، أو اعتل عليه بكتاب أو سنة في حوار فعل حاج، أو غيره، لم يطلع أبداً، كما إذا رآه شيخه يجمع دراهم لثائبات الدهر مثلاً، فهذه عن ذلك، فقل: الشارع جواز ذلك، فهذا في طريق وشيخه في طريق، وبالشيوخ أعلم بالمرید من نفسه، كالبيطار في أمور الدواب أعرف بأمراضها من أصحابها، ونفس المرید الضعيف لا تميل إلا للرخص، فتسر ضرورة مما يأمرها بما يشق عليه، ومن الدسائس التي تدخل على المرید أن يطلب من شيخه دليلاً على قوته، فإن فعل ذلك فقد نقص عهده الذي بايعه عليه وهو العمل بكل ما قاله مبادئ الرأي، فهذا يفسد له الدليل فالمراد إنما عمل بالدليل لا بقول شيخه، ومن هنا طلب العرف من يسلكه، ولم يكف معرفته، فالذي يسمى للشيخ إذا رأى نفس المرید هويت عليه في الاستدلال والمجادلة معه أن يطرده، لكن بحسب عبارة، كأن يقول له: يا أخي قد صرت بحمد الله من أهل الطريق وأهل العلم، فاستعد على من هو أعلم مني أنفع لك، لأن الشيخ إذا ترك مثل هذا مقبلاً عنده أفسد عليه بقية أصحابه، فإن كان به خير رجع وتاب واستغفر، وإلا فقد استراح العقراء منه.

ومن آدابه إذا أراد حصوره مع شيخ أن يلبس أحسن ثيابه، لأن حصرة الشيخ ملحقة بحصرة الله، ويسعى قل أن يحصر عنده أن يتوب من كل ذنب جاءه، قديماً أو حديثاً، ليدخل حصرة شيخه على طهارة كاملة، وإذا كان عمله بعيداً عن الشيخ لا يجتمع عليه إلا بية بريرة دون غيرها.

وبالجملة فأقل ما يلزم المرید من الأدب مع شيخه أعظم ما يلزمك مع ملوك الدنيا، فمن لم يعرف الأدب مع ملوك الدنيا لم يعرف الأدب مع الشيخ فالشايح باب المرید.



ومن آدابه ومن أهم الأمور، أن لا يرور أحدٌ من المشايخ الأحياء والأموات إلا بإذن شيخه، ولو كان ذلك الشيخ صديقاً لشيخه، وكذا لا يرور أحدٌ من المشايخ من جماعة غير شيخه، ولا يريد على قوله: السلام عليكم، وذلك لأن المرید ضيق لا يسع طريق غير شيخه، ومن شأن كل ضعيف من المريدين أن يمدح شيخه وطريقته فقط، وينقض غير طريق شيخه أو يسكت عنها، وربما يكلمون بعضهم بعضاً في الطريق فيتجادلون يقع بينهم الصعائن.

واعلم أن معهم من الرياسة وحجب عني الشيخ، ما داموا لم يطلعوا درجة الكمال من الرجال، فإذا علم من المرید أنه بلغ العاية في الترقى وأشرف على الأم التي تمرعت منها كل طريق، ورأى الصوفى كلها تدور وتجمع في بحر واحد، فهناك له الزيارة للناس.

قال سيدي محي الدين بن العربي: **كم كسدت الرياسة ناساً، وذلك لأن الشيخ إنما يأتي مریده من الباب الذي يخالف هواه نفسه،** فربما رار بعض المريدين غير شيخه فوجده قد أمر تلميذه بما خالف عنه شيخه هو، فتحول نفسه إلى ذلك الشيخ فيسقط الشيخ الأول الذي هو شيخه من قلبه، وإذا سقط من قلبه وصحبه بعد ذلك ولو نفساً واحداً فقد رفق ونقص العهد مع الله، عر وجل، من أنه لا يحيل لأحد غير شيخه، وإياك ثم إياك أن تض أن شيخك إنما نفاك عن رياسة غيره حباً للرياسة والحسد لأقرانه بكثرة المريدين، كما تض بليلك صغفاء المريدين، ومن لا عيب له بالطريق، فإن ذلك من سوء الظن، وهو نقض للعهد الذي يسك وبينه، ولا تحمل حالك على حبه فتحكمك بالمساواة فتخرج إلى حد الخيانة والقطيعة، فلو كان حال شيخك مثل حالت ما كان شيخك، فافهم.

واعكف عني شيخك وحده، وعلى جماعته، وإن طردوك، فلازم الباب، وإن طردوك عنه فأبعد يسيراً ولا تمارقه، فربك لا تفسح على يد أحد غيره أبداً، كما

جرب، وإذا طردك وأراد الله منك خيراً جمعت على من يحب شيخك لحبه لك، ويشوقك ويقوى عزمك على الرجوع إليه.

وينبغي للمريد إذا سقط حرمة أستاذه أن يحبره بذلك ليدأوبه من هذا المرض العظيم، إما بطرده عن صحته وإما باستعمال ما يزيل عنه الخجب التي طرأت عليه بواسطة وقوعه في معصية أو نحوها، ورد طرده فيمكن ذلك بالقلب دون اللفظ إلا بسياسة نامة، فإن السكر على الشبع من أكبر الأعداء، وليس للشيخ أن يتحملة خوفاً من إفساد الفقراء، وأكثر ما يقع هذا المرض في قلوب الذين يكثر من محالسة الشيخ، ولذا قالوا: لا بد للشيخ من ثلاثة محالس: مجلس للعامة، ومجلس للخاصة، ومجلس يعاتب فيه كل مريد على انفراده، ثم لا يجالس كل نوع إلا عاماً يوماً بعد يوم، أو بعد أيام، مصلحة للمريد، لا تكبراً وقياماً للناموس الطبيعي وشروطه في العامة أن لا يترك أحداً من المريدين يحصر معهم فيه، ومتى ساءلهم في الحضور فقد عشيهم، ويكون مجلس العامة في ذكر ما يعيهم على الصلاة والصوم والصدقة، وبيان ثمرة ذلك، ولا يخرج بهم إلى ذكر شيء من الأحوال والكرامات وما كان عليه الأكابر لأنهم لا يقدرون على المشي عليه، وشروطه في مجلس الخاصة أن لا يخرج عن نتائج الأذكار، والخواص والرياسة وبيان الطريق الموصل إلى الله، وشروطه في مجلس الانفراد مع الواحد من أصحابه، رجزه وتقريره وتوبيخه وتصغير أعماله الصالحة في عييه، ويقول: حالك ناقص عن مقام الصادقين، وبهاه عن دناءة همته.

ومن آدابه أن يحذر من العجبة فلا يبادر لفعل مأمور به، حتى يكون يعلم شرط صحة ذلك الأمر، كما أنه لا يدخل الصلاة إلا بعد معرفة شروطها ومعرفة كيفية أفعالها، فلا تكن المادرة إلا بعد معرفة رُكاز ذلك الأمر وشروطه، قالوا: وإذا أرسله شيخه في حاجته وكان مكثراً بعيداً فمن الأدب لا يطلب له شيئاً

يركبه إلا إذا كان عاجزاً عن المشي عدة، وكذا لا يطلب للحاجة محملاً إلا أن يحجز عن حملها، فإن أقل المراتب للأدب مع الشيخ أن يكون الحكم معه في تلك الحاجة، نفسه وزوجته وأولاده إذا بكوا عليه وطلبوها منه، فإن مراعاة خاطر شيخه مقدم على مراعاة زوجته وأولاده، فقد كان سيدي محمد الشاوي يرسله شيخه إلى طيندا للحاجة ماشياً يذهب يأتيه بها، وبعضهم يرسله بقمص الفراخ على رأسه ماشياً إلى مصر.

مرضى الله عن أهل المروءات، فزادته رخدمته شيخه ساعة أفصل من خمسين حجة على الجاهل بآداب الحج وشروطه.

ومن آدابه أن لا يكلف شيخه قط شيء لبسم عليه إذا قدم من سفره، أو لبعده إذا مرض، أو ليعزيه في موت أحد، بل يذهب هو إلى شيخه فيسلم عليه ويعزيه، وممن تعير قلبه من شيعته إذا سلم يأنه فقد أساء الأدب معه، فيحب عليه تحديد العهد، ويسعى أن يكون معه بالأذن باطناً كما هو معه طاهراً، ولا يتكلم في حق شيخه كلمة من وراءه يستحي أن يقولها في وجهه، فإن ذلك أكبر عيانة يقع فيها المرید، كأن يقول: هل كان شيخى يقع في المعاصى قبل دعوته في الطريق؟ أو كان يحامع زوجته في كل ليلة؟ فذاك من فصول الكلام، ويلزم أن يعتقد أن كل ذرة من أعمال شيخه أفصل من عبادته ألف سنة، قال أبو سعيد الجزاري: رياء العارفين أفضل من إحلاص المریدين.

ومن آدابه إذا جلس مع شيخه أن يرم السكوت، ولا يتلفظ بمصرته، إلا إذا وجد أمانة على إذن الشيخ له في الكلام.

وآداب المرید كثيرة، وفي هذا لقدم كمية، ومن عمل بالقليل جره ذلك إلى العمل الكثير.



مرکز تحقیقات کتاب و اطلاع‌رسانی

# الباب السادس

في آداب المرید مع إخوانه



سازمان اسناد و کتابخانه ملی  
جمهوری اسلامی ایران

اعلم أن المرید لا یجب علیه التخلق بجميع آدابه مع إخوانه، لأنه مشغول بحق الله عن حقوقهم، فلا یقدر علی الجمع بین حق الله وحق عباده، وإنما یؤمر ببعض أخلاق منها فی طریق الخنطة والمخاروة، فما هو فی طریق العشرة، ثم إذا انتهى سوره وبلغ مبلغ الرجال فها لا یصلب بالتخلق بأخلاق الکمل کلها، وإيضاح ذلك أن الأخلاق المحمدية لا تلح علی أحد إلا إذا دخل حضرة الله تعالى الخاصة التي یدخلها السالك عند کمال سلوکه فی لعاده، وتلك الحصرة یحرم دخولها علی من بقيت فيه بقية من روعات النفس، بدلیل عدم صحة الرضوء لمن ترك لمعة من أعضاء الطهارة لم یصبها ماء، ثم إذا استقر فی تلك الحصرة خلج علیه من الأخلاق المحمدية ما قسم له فیرجع متعلقاً بها بمن غیر کلفة علیه فی ذلك، وأمر أن یعطى کل دى حق حقه علی الکمال، من والد وزوجة وولد وصاحب وجار، ونحوهم، ولو أمر فی بدایته بذلك لما قدر علی السير فی الطريق لصعقه علی الجمع بین حق الله وحق عباده.

وإذا علمت ذلك فمن آداب المرید مع إخوانه أن یكون محبا لهم جميعاً، کبرهم وصغيرهم، ویكون ذلك لله تعالى وأن لا یبظر لهم إلى عورة ظهرت، ولا إلى زلة سبقت إذ هو لا یؤمن من الوقوع فی مثلها فإذا وقع فی مثلها یحب من إخوانه أن یرحموه ویعتفروا عنه ویقولوا بأن إبليس هو الذى أوقعه بإرادة الله، وإنه أوقع من هو أعظم منه، فلدلك یسمى له أن یعاملهم بعدم الادرء وإقامة العذر، وقد أجمعوا أن کل فقیر اطع علی شیء من عیوب الناس، ولو من طریق الكشف، فهو فی حصرة الشیطان لا فی حصرة لرحمن، ولا فی حصرة ملائکته، وکل كشف اطلع صاحبه علی شیء من عیوب الناس فهو كشف شیطانی یجب

عليك التوبة منه، فالواجب عليه أن لا يتعدى النظر إلى عورة نفسه لسترها، وأما عورة غيره فإن قدر على ستره سترها، وإلا عص عنها، فلا يطلع على عورات المسلمين إلا الشياطين، فمن تعرض سقوع في ذلك فقد تعرض في حق شيخه، فإن شيخه ربما كان له صبرة قل دحوله في الطريق، كما هو العالب عن أكابر الطريق، فقد كان الفضيلي من أكبر قطاع الطريق، وكان الشبلي وليا بالبصرة، وفي الحديث: «من تتع عورات أخيه تتع الله عورته، ومن تتع الله عورته فقد فضحه ولو كان في خوف رحله» فمن لم يستر إخوانه في جميع ما يراه من عوراتهم، فإذا بلغه شيء عنهم كذب ساقل، وإن أبل التكذيب فيعمل المقول عنه فتقام عليه حدود الله ثم يخرجوه من فقراء لئلا يفعل غيره ذلك، والواجب على كل أن يمر من مواطن النهم، فمن سنث في مسالك التهم فلا يلوم من أساء الظن به، فيجب عليه أن يمر من الأمرد الشاب، والنساء، ما أمكن.

ومنها أن لا يعود نفسه التخصيص بما فتح الله له عليه بالحلل، ولو كانت خيارة، فإن من أثر نفسه على إخوانه في الشهوات لم يفلح أبداً، وما صاروا الناس رعويا في الطريق لا لكرمهم وإيثارهم وسلامة صدورهم من الخقد والحسد والضغائن، وإن المرید متى أحر بصفاً واحداً على اسم حوائجه المستقلة، مع حاجة أحد من إخوانه إليه حرج من وصيفة الفقراء.

والكلام في الحلل، أما ما به شهة فلا يمسكه بحال، ومتى ترخص في الادخار تربي عنده الحرص والبخل، فاحتاج بعد ذلك إلى علاج شديد، ومن شك فليحرب، وما اتخذ الله من ولي بحبل.

ومن آذابه أن يكون عنده شفقة على دين إخوانه ويحب لهم من الخير مثل ما يحب لنفسه فيبهم على الوصوء قل ترفق ليدخل وقت الصلاة وهم على أهبة،



فلا تفوتهم تكبيرة الإحرام مع الإمام، أو فوت السرة الراقية قبل المريضة، كما عليه المرسومون ويقولون: الوقت متسع، وكثير ما تفوت أحدهم صلاة الجماعة كلها، وكان السلف إذا فاتته صلاة الجماعة يعيدها سبعة وعشرين مرة، مجاهدًا لنفسه، وإن كان جمهور العلماء على المنع من ذلك، ومن السلف الإمام المزي صاحب الشافعي كان يعيدها خمسًا وعشرين مرة إذا فاتته الجماعة، وأن ابنه إخوانه في الأسفار ويكون ذلك برفق، ويرى أن يومهم بحرًا من عبادته هو، لكلا يغتر بحاله، فمن رأى نفسه مساويًا لجلسه فمدده واقف لا يجرى عليه، أو أعلى من جلسه فلا يصعد إليه درة من مدده، فلا يغتر بحاله ولا يطلب الرئاسة قبل حينها فيتأخر إلى وراء، لأن كل جلس إذا رأى نفسه يهبط من أصحابه فقد سبق في طريق القوم ولئن كما لئن ليس بسبب قوله: ﴿أَنَا خَيْرُكُمْ﴾<sup>(١)</sup> وقال بعضهم: لا يصير الفقير فقيرًا حتى يصير نفسه دون كل جلس من المسلمين، فإذا صار كذلك صار الوجود كله يمدده، كما أن الذي يرى نفسه خيرًا من جلسه المسلم يصير كل الوجود يلعبه، ومن وصية أحمد الرفاعي لأصحابه وهو مستحضر من تمشيح عليكم فتلمذوا له، فإن مد لكم يده لتقلوها فقبلوا رجليه، وكونوا آخر شعرة من الدنوب، ولا تكونوا دعوسًا، فإن أول صرة تنفع في الرأس، وقال له يعقوب الخادم: يا سيدي أوصني، فقال له: كن عادمًا لإخوانك مؤثرًا على نفسك متحملًا أذاهم بعد ذلك، واحذر أن ترى نفسك أعلى منهم فتقع في حمرة لا يساعدك منهم أحد، ثم قال يعقوب: انظر إلى السحرة لما قدمت بصددها وتعالى على جبرائها جعل الله حملها فوق رأسها، ولو حمت مهم حمت لم يساعدوا أحد، وانظر إلى

شجرة اليقطين لما وصفت حدها في التراب وتواصعت جعل الله جملها على عمرها، ولو حملت مهما حملت لا تحس بثقله، قال عليه السلام: «من تواضع لله رفعه، ومن تكبر وصعه» وقد أمرك الله ورسوله بالتواضع لعباده، فليكن تواضعك امتثالاً لأمره.

فتأمل يا أخى واعتبر، إن في ذلك لعبرة لأولى الأبصار.

ومنها أن لا يراحم على إمامة، لما في ذلك من تحمل سهو المأمومين مع ضعف باله، بل هيهات أن يقدر على تحمل سهو نفسه وعمله عن ربه وأيضاً فربما حره ذلك إلى حب الرياسة ولا يتكدر، دا رل.

ومن آدابه أن لا يكون مقدماً لإخوانه في سوء الأدب مع الشيخ، أو يطلب الدنيا بالوظائف والحرف، أو يتزوج بعد إذنه، أو يصير يوسع على نفسه ويأكل الشهوات ويمسح إخوانه من ذلك، حتى لو قال له الشيخ: ألتق على إخوانك بصعاً واحداً لا يجيب، وذلك إساءة أدب مع الشيخ ومع إخوانه، لأن جميع الفقراء تصير تحتج بعمله.

ومنها: أن يكون رأس ماله مساعمة إخوانه في كل شيء آدوه به، من فعل أو قول أو سوء ظن، وأن يعتذر لإخوانه إذا خدمهم أن لا يقوم بواجب حقهم، وأن يرى خدمتهم هي الشرف، ويعامل إخوانه بالكرم والإيثار بحقوقه، ولا يكون له التمتع إلى الدنيا وزخارفها والإقامة فيها، ولا إلى مطالبة ناظر ولا حاجي بعلوم وظيفه إلا إذا كان مضطراً.

ومنها: أن لا يصدق في إخوانه عمداً، وإن نقل إليه إخوانه يكرهونه ويقولون: فيه كذا وكذا، ويقول له: يا فلان أنا من محبة إخواني على يقين، وكلامك هذا ظن، وأنا لا أترك اليقين بالظن.

ومنها: أن لا يكون مقدماً على إخوانه في التكاسل عن حضور مجلس الذكر بالكلية والحضور في أول المجلس أو عن الحضور لصلاة الجماعة، أو بمجلس العلم والأدب، فمن كان مقدماً لإخوانه في ذلك فقد أساء الأدب معهم، وكان عليه وزر كل من يتبعه، ويسعى إذا تخلف عن المجلس بعد رجاء في أثناءه ولو في الدعاء، يحضر مع إخوانه فيه ولا يستحي أبداً، كالحكم فيمن أتى الجماعة في التشهد الأخير يستحب له الإحرام ليحصل له جزء من فضل الجماعة، وإذا وبخه أحد إخوانه على التخلف لا يقيم الخجج على إخوانه بل يبعي المبادرة والاستغفار، وقوله: جراكم الله عى خيراً، وهذا دليل على شدة محكم لى.

ومنها: أن لا يكون مقدماً لإخوانه في الخروج من مجلس الذكر قبل الفراغ منه، لا سيما إذا احتك المجلس من شدة الذكر، فإن ذلك يضعف قلوب الذاكرين، ولهم استعداد للذكر بحمة الأكل والشرب، حتى لا يحتاج إلى تجديد طهارة عن الحدث من حين مجلس إلى حين بفرغ، لا سيما مجلس الذكر بعد صلاة الجمعة إلى العصر، فقد ورد: من صلى الجمعة وجلس يذكر الله تعالى إلى العصر كان في عليين، وقد ورد أيضاً: «المؤمنون كالسيان يشد بعضهم بعضاً» فالعقل من تبه لنفسه وأكرهها على الخير تشرن ولا تمل إلا نادراً، ويتأكد أن لا ينصرف إلى مجلس الذكر الذى فيه الشيخ، ولو كان حاجة ضرورية إلا بعد استئذانه سيما بمعارفة من علت رتبته من أصحاب الشيخ، فبه يتعين المشاورة حزمًا، لئلا يقتدى به غيره فتضعف حلقة الذكر، لأن المجالس إنما جعلت ليقوى بعض الناس بعضاً، فإذا كسل واحد وكان جاره نشيطاً تبعه في الكسل، بخلاف ما إذا عظم المجلس جاءت له الفقراء وأحبوا حضوره واعتبروا به، ثم إذا استأذنوا الشيخ وذهبوا للضرورة يسعى أن لا يقوموا دفعة واحدة، فيضعف قلب الباقيين عن القيام، بل

يقوموا متراسلين واحداً بعد واحد، ثم إذا فرغ أهل المجلس من الذكر وأرادوا الخروج فيرجعوا إلى أماكنهم التي كانوا فيها، ويسعى أن يقرب على إخوانه طريق الوصول إلى مراتب الكمال، وذلك بلاشتغال بالذكر على الدوام، فإن الله جعل لكل مرید مناهل وعقبات لا يصل إلى مقامات الكمال إلا بقطعها كلها.

ومنها: أن يراعى مواطن عمدة إخوانه عن الذكر، فيذكر الله في مواطن غفلتهم، لتزول الرحمة على إخوانه، فيحسن إليهم بذلك، ويكتب له أجراً عظيماً، وربما كان ذكر الواحد في وقت عمدة إخوانه في الأجر والثواب بعدد من غفل منهم، والله يحب من عباده من يحب ذكره، وأن يرغب إخوانه في ذكر الله مع الفقراء صباحاً ومساءً، ولا يقيهم يحسون لنحو العملة فيكون رحمة على إخوانه ويجب كثرة الإخوان في الذكر، محبة في الله عز وجل، ويتعين كثرة الحث على الحضور إن كان الورد طويلاً.

ومنها: أن يرشد إخوانه ويعلمهم الآداب الشرعية والعرفية من غير أن يرى نفسه عليهم بذلك، فقد يكون أحدهم أكثر إخلاصاً لله وأحسن معاملة، فلا يلزم من كونه أعلم من المرشدين أن يكون أفضل عند الله منهم، وهذا أمر يغفل عنه كثير من الناس.

ومنها: أن يكون مقدماً لإخوانه في كل عمل شاق من أعمال الدنيا والآخرة، كحمل الخطب وكسهر الليالي الكامنة، وكل من ادعى أنه أقدم هجرة عند الشيخ فهو أحق بذلك من الحادث القريب العهد، ويكون بعيداً من مواطن التهم، فلا يأمر إخوانه بقيام الليل وهو ينام، ولا يرهبهم في الدنيا وهو يجمعها، ولا يأمرهم بالصيام وهو يفطر، ونحو ذلك.

ومنها أن يتظاهر بعداوة من غادى إخوانه بغير حق قيامًا بواجب حقوقهم ولا يجوز له عداوته باطنًا، إلا إن كان من أهل الكشف وكشف له عن شقاوته والعياذ بالله.

ومنها: أن يرشد إخوانه إلى ترك البغى عليهم، ولا يأمرهم قط بمقابلة الباغى بالبغى، وفي الحديث: «أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تحس من حانك» وفي زبور داود: لا تبعى على من بغى عليك، إن أردت أن أبصرك، فمن بغى على من بغى عليه تخلفت على نصرتي له.

ومنها: أن لا يغفل عن خدمة من مره من إخوانه، لا سيما في الليل، حتى ينام الناس ويتركوه، وليس له أهل ولا أولاد ولا أصحاب، فإنه يتمتع عليه خدمته، وقد ورد أن العبد يسأل يوم القيامة عن حقوق جميع إخوانه وأصحابه، ثم إن كان العتور المريض ليس معه شيء ينفقه في المرض فينسى لإخوانه أن ينفقوا عليه من مالهم، أو يفترضوا، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه.

ومنها: أن لا يدخل على إخوانه، ثم إذا أرسله الشيخ في حاجة إلى شخص من الحكماء أو غيرهم ممن لا يعتقد في الشيخ، فإن سب الشيخ أو لم يقض حاجته فمن الأدب أن يقلب ذلك الكلام سببه، ولا يدخل على الشيخ والإخوان بذلك الكلام الخافى بل يكون حسن النية، ولا يبلغ الشيخ إلا خبرًا، وإن كان هذا الشخص الذي يشفع فيه الشيخ لا يستحق شفاعته لقبح ذنبه، فيصير الشيخ حتى يستوى العقوبة منه، ثم إن لقي الرجل الذي سب الشيخ فبيلعه السلام من الشيخ ويغالبه، ولا يعاقبه على شيء مما كان وقع منه في حق الشيخ، فإن ذلك مما يؤلف القلوب على الشيخ ويقلل أعداءه ويكثر المقراء.

منها: أن لا يسمى إخوانه من بدعاء بالمعصية والرحمة والعفو كلما وجد الوقت صافيا مع ربه، عز وجل، سوء كان ذلك ليلا أو نهارا وسجودا وغيره، ومن فوائد ذلك الوفاء بحقوقهم ويقول الملك الموكل بالدعاء: ولت مثل ذلك، ودعاء الملك لا يرد، وقال سيدي علي لخواص: إذا وجد أحدكم الوقت رايقا من الكدورات فليسال الله المعفرة لجميع المسلمين من أهل عصره، وهذا من أعظم حقوق المسلمين، وفي الحديث: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ (١) الآية، وبقياس من تأخر عما بالإيمان، أو صألونا

ثم إن طلب المعصية لهم يكون على نوعين: إما أن الله يحول بينهم وبين الوقوع فيما لا ينبغي، وإما أن لا يؤاخذهم إذا عصوا، ويكون استعمار أحدكم إذا وقع في حق صاحبه بكشف الرأس والوقوف في صف القتال واصغا يده اليمنى على اليسرى نادما على ما وقع منه في حق أخيه أو غيره، فإن لم يقبل أحوه استعماره لا يقعد بل يبقى قائما إلى أن يرحمه الله، ويجب على أخيه أن يرجع باللوم على نفسه حينئذ ويقول: أنا الطالم على أخي، حيث اعتدر لي ولم أقبل عذره، فافعل ذلك صفت القلوب.

ومنها: إكرام كل وارد عليه من إخوانه، ولا يأكل شيئا وحده ما استطاع، ولا يذكر أخاه بسوء أيام غيظه، فإذا اصطلحا يصير ذلك يكثر صفاء المودة، وهذا من أفبح ما يكون بين الفقراء سيما إذا كانوا في مكان واحد، وكل وقت يقع الوجه في الوجه.

(١) سورة الحشر: آية ١٠.

ومنها: أن يقدم حوائج إخوانه الصرورية على عبادته من سائر التواقل، لأن الخير المتعدى نفعه أفضل من القاصر على فعله، ويؤس إخوان المستوحش ويؤمنه إن كان خائفًا.

ومنها: أن يتخذ عبده موسى والمعمر والإبرة، والمحرر والخيط والزناد والكبريت والمشط والحلالة والسواك والسجادة من فوطه أو خرقة على كتفه لأجل الصلاة عليها حيث أدركته في سفره وإقامته، وربما يكون عليه قميص واحد والأرض متنجسة فيقف والقصد نفع إخوانه بذلك بالصلاة عليها.

ومنها: المبادرة لتنظيف ابستراح من القدر، وليكن ذلك الوقت لا يراه فيه أحد منهم، كالأسحار وفي أوقات العجلات، ثم لا يحدث بما رأى من القلدرات المائعة ومحو ذلك، إعانة لإخوانه، وإذا رأى المطهرة ناقصة كملها من البشر، فإن السنة للعبد أن يوالى ماء الطهارة بمسه، وأن يملأ أكثر من الذي ينظف به، وأجره على الله.





# الباب السابع

في آداب المرید مع نفسه



منها: أن يكون ورعاً عن الحرام واشتهت في مأكله ومشربه ومطقه وسمعه وبصره ويده ورجله وقلبه وفرجه، وعمدة ذلك كله الورع في اللقمة، لأن الأعمال تشأ من جوارح العبد على صورة اللقمة في الحل والحرم، فلو أراد من يأكل الخلال أن يعصى تعسر عليه ذلك، قال إبراهيم بن أدهم: اطلب مطعمك حلالاً ولا عليك بعد ذلك أن لا تصوم في النهار ولا تقوم في الليل، يعني نملاً، وليحذر المرید من الورع رياء وسمعة للناس، فانه يزداد بذلك مقتاً وبغلاً.

ومنها: إذا تعسر رزقه وقسا عليه قلوب العباد فليصبر ولا يضجر، فكثيراً ما تتحول الدنيا عن المرید عند دخوله الطريق، فرمما قال: ما كان لي حاجة بالطريق فينقض عهده فلا يملح أبداً بعد ذلك فإن وقع كم العسر فيها فليعلم أن الله يريد أن يواله ويفتح عين بصيرته، وأب لا يجتمع حبة الله مع حبة الدنيا، فيسعى أن يرفصها وراء ظهره.

ومنها: إذا دخل الطريق وهو عرب لا يتروح، أو متروح لا يطلق، لأن طريق القوم ليست بالرهبانية، وأكل الشعر، إثم الطريق أن يحفظ المرید أوقاته عن الصياح في اللهو والعبلة وعدم الملل من العبادة.

ومنها: أن يكون باهص المهمة خفيفاً في فعل الطهارة، فلا يزيد على العسلات الثلاث، وأن يرفع همه عن طلب الأجر على أعماله وعبادته، وأن تكون أعماله على وفق الشريعة المطهرة، فإن الشريعة هي الحد القاطع والسيف اللازم لعصمتها.

ومنها: أن يقلل النوم ما أمكن، لا سيما وقت الأسحار فإنه وقت الإجابة والعطاء والتحليات، والنوم ليس فيه فائدة دنيوية ولا أخروية، وإنما هو خسرا

لأنه أخو الموت، فلا ينام الثلث الأخير، وقد سیدی إبراهيم الدسوقي: كيف يدعى المرید الصدق في أحب سطريرق وهو ينام وقت فتح العائم وفتح الخرائط، ووقت نشر العلوم وإظهار المكتوم.

ومنها: أن لا يشبع إذا أكل، ولا يأكل إذا جاع، قال سیدی إبراهيم الدسوقي: قوت المرید الصادق الجوع، ومطره الدموع، ووطره الخشوع، بصوم حتى يرق قلبه ويلين، وأما من شبع ودم ولعا في الكلام وترخص وقال: ما عني فاعل ذلك ملام، لا يحىء منه شيء في سطريرق والسلام.

ومنها: أن لا يكون عنده حسد ولا عبة ولا بهي ولا مخادعة ولا مكابرة وممازة ولا مخالفة ولا مكادبة ولا مصاقفة، ولا كبر ولا عجب ولا افتخار ولا حظوظ نفس ولا تصدر في محاسن، ولا رؤية نفس على أحد من المسلمين ولا جدال ولا امتحان ولا تنقص لأحد من أهل الطريق، وتقدم بعض ذلك.

ومنها: أن يسند على نفسه باب مراعاة الخلق فلا يلتفت لأحد من المخلوقين، أقل عليه أو أدهر عنه، لأن من شروط مرید الصادق أن يحب العزلة عن الناس، ولا يطلب له مقامًا ولا قيمة عند أحد منهم، كما له وهم، فلا يبين له حضور المجلس الذي فيه اللغو، فعليه بالوحدانية إلا في حضور الجماعات ومحاسن العلم السائلة من ذلك.

ومنها: أن يوبخ نفسه ويبحثها عنى السير في الطريق كلما وقعت مع حظوظها، ويقدم حذف العلائق على كل عمن، وإلهم قالوا: مثال من حزن عنده درهما مثال من ربط نفسه بحبل القيل، ومثال من حزن دينارًا مثال من ربط نفسه بحبل البئر، ومن زاد في الدنيا زاد من الحبل، ويسغى له كلما تعب من عبادة يقول لنفسه. اصبري، فإن الراحة أمامك عدا، وإما أريد بتعبك راحتك في الآخرة.

ومنها: أن يعص بصره عن الصور الخسساء المستحسنة ما أمكن، فإن النظر إليها كالسهم القاتل والسهم الصائب في قلبه فيقتله، لا سيما إذا نظر بشهوة، قال سيد الطائفة، أبو القاسم الجيّد: من أكبر القواطع على المرید مصاحبة الأحداث والنسوان والمعاشرة لهم، وقال الواسطي: إذا أراد الله هوان عبد ألقاه إلى هؤلاء الأثنان والجيف — يريد الشباب المرد التي تميل النفوس المغوية إليهم — وقال فتح الموصلي: قد صحبت ثلاثين شيخاً، كلهم أوصوني عند فراقهم أن أتق معاشرة الأحداث، فيبغى للمريد أن لا يجالس الأمرد الجميل قط، ولا يسكن وإياه في خلوة واحدة، ما أمكنه، وقد صنف سيدي محمد العمري كتاباً سماه «العنوان في تحريم معاشرة الشباب والنسوان» وحط فيه على المطاوعة أشد الحط، وكذلك العقراء الذين يأخذون العهد على النسوان، ويصبر أحدهم يختلي بمن في غيبة أرواحهن، وتقول إحدهن له: يا أبي، ويقول لها: يا بنتي، فهذا خارج عن قواعد الشريعة المحمدية ومن حرج عن الشريعة ضلّ وعلك: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَّبِعًا فَسْتَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾<sup>(١)</sup> وقد أجاز أهل طريقنا تلقينهن وأخذ العهد عيبن، لكن مع عدم المس وعدم الخلوة بهن.

ومنها: ما دام أمرد يجلس خلف البس ولا يزاحم الرجال في الجلوس إلى أن يلتحي، وقال بعضهم: لا يسعى للمريد إذ كان جميل الوجه لا لحية له أن يجلس قط مع الرجال إلا في حلقة الشيخ، ولا يكتحل بالكحل الأسود ولا بتطيب ولا يلبس الملابس الفاخرة، وإنما الأدب أن يلبس الملابس الخشنة.

ومنها. أن يكابد خواطره ويعالج أخلاقه ويسعى العفلة عن قلبه بمداومة كثرة الذكر والعكر، وأما المرید وإنما عمله ندائم في تنظيف طاهره وباطنه من الصفات التي تمنعه من دخول حصرة الله عز وجل، كالغضب وغم النفس والعجب والحسد والكبر ونحو ذلك، فإذا تظاهر المرید من الصفات فهناك يصلح لتلاوة القرآن ومحاسبة الحق، جل وعلا، في الوقوف بين يديه في الصلاة، هذا ما درج عليه السلف الصالح، وقال المصطفى: قد عجز الأشياخ فلم يجدوا أسرع لجلاء القلب من مداومة الذكر، كما مر.

ومنها: أن لا يستطيع الفتح عليه بل بعد الله لوجهه، سواء فتح عين قلبه ورفع عنه الحجاب أم لا، فإن العبادة من شروط الصودية، وقال سيدي محيي الدين بن العربي: إياك أن تترك المجاهدة إذا لم تر أمانة الفتح بعدها، وهذا الأمر لازم لا بد منه، ولكن للفتح وقت لا يعدها فلا تنهم ربك فإنه لا بد من أعمالك من الشجرة إن كنت مخلصاً لله في عملك، وقال: حذر أبها المرید أن يكون قصدك من ذكرك وعبادتك الأجر والثواب، فإن ذلك حاصل لك لا محالة، وإنما ينبغي أن تكون همك التلذذ بمحاجاته تعالى، والمور بمحاسبته، فإن من عزم على محاسبة السلطان ينبغي أن لا يهتم بمأكله ولا بمشربه ولا بملبسه ما دام في خدمته.

ومنها: أن لا يجد يده للطعام، لا عند الضرورة، ولو كان بين يده طعام كأمثال الجبال، وإذا أكل لا يأكل إلا بقدر سد الرمق، وقال بعضهم: فترة المرید بعد المجاهدة من فساد الابتداء، أو كل مرید صادق لا بد أن يترك الدنيا مرتين. الأولى: يترك مطاعمها ونعيمها وجميع شهواتها، الثانية: أن يترك جاهها وتبجيل الناس له وقيعته عندهم لأجل تركها، لأنه إذا عرف الرهد في الدنيا عظموه الناس حتى الملوك ضرورة، فيكون تركه لذلك أعظم من تركه الأول، لكن إذا أحد

الديا بعد رميها بقصد الستر لنفسه وبعفته وغناه عن المسألة لا يكون إلا لمن لا اتباع له مقتدين به، أما من له اتباع مقتدين به فرما يتبعونه فيهلكون بزحارفيها وسحرها وارتفاع قيمتهم فيها.

ومنها: أن يأخذ بالأحوط في ديه ويخرج من خلاف العلماء إلى وفاقهم ما أمكن، طالباً وقوع عاداته صحيحة على جميع المذاهب أو أكثرها، فأرخص الشريعة إنما جعلت للصعفاء وأصحاب الضرورات والاشتغال، وأما القوم فليس لهم شغل إلا مواحدة بموسمهم بالعزيم، وما قالوا: إذا انحط الفقير عن درجة الحقيقة إلى رخص الشريعة فقد فسخ عهده مع الله ونقصه.

ومنها: أن يخفى في أعماله وأحواله التي تكون بينه وبين الله ما أمكن حتى ترمح في مقامات مراعاة الله وحده دون غيره من خلق الله، فلا يكاد أحد يأخذ من الفقير الصادق مقاماً ولا يعرف له حالاً من شدة كتمان، وقد أجمع أهل الطريق على أنه إذا لم يكن المرید غير ملاحظ للخلق في أعماله لا يجرى منه شيء في الطريق، وقد أجمعوا أيضاً أن كل مرید أحب الظهور وأن يطلع الناس على كمالاته فهو مقطوع به، لا سيما إذا صار أساس يتركون به فإنه يهلك بالكلية.



سازمان اسناد و کتابخانه ملی  
جمهوری اسلامی ایران



# الباب الثامن

في الأمور التي يستحق بها  
المريد الطرد من شيخه



منها: إذا شكى الفقراء منه سوء «خلق» أو الكبر عليهم، وهما شيعة عن ذلك  
 فلم ينته، أو أمره بأمر فلم يأتمر وامتنع، وتكرر ذلك منه مراراً، أو كان ممن يراجع  
 الشيخ في الأمور التي يعملها مطهراً بذلك كمال عقله وحسن رأيه على شيعته، أو  
 يعتزل مجلس ذكر الشيخ أو مجلس وعظه لعدم ضرورة، أو يحضر لكن يشتغل في  
 مجالسهم بغير ما هم فيه، أو لم يحضر صلاة الجماعة لعدم ضرورة، أو يتهاون  
 بالصلاة، أو يلتقى على شيعته المسائل العلمية مطهراً عليه العلم ومشتاً لنفسه  
 الفضل، أو يفعل مثل ذلك مع إخوانه من الفقراء على طريق الازدراء بهم، أو كان  
 اللهو والضحك بحضرة الشيخ، أو كان غير محترم له، أو يستفتح عليه في المجلس  
 بغير إذنه، بمصوره أو في غيبته، ولم يأذن له، أو يتكاسل بالعبادة اللازمة كأداء  
 الفرائض، أو يمدح أحداً من مشايخ العصر عند بقية المريدين، أو يستحسن طريقاً  
 غير طريق شيعته، أو يستعمل ورداً غير ما أعطاه له الشيخ بعد انتهائه، أو يكثر  
 الجلوس في موضع التهم، أو يستمع الملاحى قبل كماله، أو يتعسر على شيعته  
 وهو في خلوته، أو عند عياله، أو يستكشف حقيقة حاله بالبحث والسؤال عنه  
 من الغير بعد الأخذ عنه، أو يأكل كثيراً والشيخ يربي بالجوع، أو كان كثير  
 المخالطة والشيخ يربي بالعزلة، أو مبهمكا على جمع الدنيا لعدم حاجة، وبحر ذلك،  
 وينتج هنا صلاح باقى الفقراء الذين عنده، من الواحد قد يفسد المائة.



سازمان اسناد و کتابخانه ملی جمهوری اسلامی ایران

# الباب التاسع

في النقابة والنقباء وما يتعلق بذلك



سازمان اسناد و کتابخانه ملی جمهوری اسلامی ایران

الأصل فيها القيام بالحفظ والإحاطة لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾<sup>(١)</sup> ولقوله: ﴿وَلْيَأْخُذُوا بِحُرْمَتِهِمْ وَأَمْلِيحَتِهِمْ﴾<sup>(٢)</sup>، وفي الخبر: «أحرص على ما ينفعك...» الحديث، ومن المعلوم أن لكل شيء أنصراً، ولكل جماعة أعياناً، ولكل بيت ربوساً، ولكل ركب أدلاء، ولما كانت الأولياء على مس الشرح والخلافة عزيزة والقيام بأمرها مشق على المرادين الأعلى أهل الخصوصية احتاج الأمر إلى إقامة أشخاص لتعاطي خدمة المقراء لطم شملهم معاونين للشيخ، وهم النقباء، ويكفي منهم أربعة أشخاص، وهم يتم لصام فادناهم منزلة نقيب النعال، وهو أعلاهم معنًى، وأقرهم فتحاً وسلوكاً إذا قدم بأدائها وروى حقوقها وآدابها، ثم ساقى الماء، له بكل قطرة أجر، ثم نقيب السماط لم بكل لقمة يأكلها إخوانه أجر، ثم نقيب الحضرة، وهو نقيب النقباء وعين الجماعة، وإليه الإشارة، وهو محل سر الشيخ وبابه، وله وطيمة الدعاء، وتلقم المرید للعهد والاستدانة وترتيب المجلس وافتتاحه إذا غاب الشيخ، والوقوف على رأس المقراء، ولكل واحد من الأربعة آداب.

أما آداب نقيب النعال فكثيرة منها، وهو أجلها. الإخلاص في ذلك لوجه الله، وأن يلزم الخصوع ليستكمل رتبته، وينوي بهذه الخدمة الوقاية من المكروهات، وإن قدم عليه فقير بشر في وجهه ويتلقاه بالشر والترحيب والسعة، كقوله: مرحباً بأخي فلان، أو سيدى فلان، أو الشيخ فلان، شكر الله سعيكم وتقبل منكم، وأعاننى على القيام بواجب حقكم، وبأحد نعله وينفضه ويطويه،

(١) سورة البقرة: آية ١٩٥.

(٢) سورة النساء: آية ١٠٢.

ويعرف رتبة الفقراء ليضع نعل كل واحد مع رتبته، وعليه الحفظ والصون والوقاية للنعال، وإذا أراد حاجة خلف من يحرس، وإذا أراد الانصراف وأقبل عليه واحد منهم قدم له نعله ودعا به بالقصور، وسأله الدعاء، ويسعى أن يكون حاذقاً فطناً ليميز النعال، ويعرف صاحب كل نعل، وإذا أراد الكمال أخذ نحو سكين يحك بها ما عساه يكون داخل النعل من وحل، وخرقة يمسح بها، ويسعى أن يكون له خرج أو نحوه إذا كانوا في محل غير الراوية، كزيارة أو اجتماع عند أحد ليحفظ نعالهم، وعليه حمده على رتبته إن كان وقت مشي، ويضعه بين يديه حال جلوسه، ورتبه خلف القوم إذا مشوا، وذلك ليحفظ ما عساه أن يقع منهم من ثوب ونحوه

### ومن آدابه: أكل فصلة القوم

وأما آداب ساقى الماء فكثيرة منها: تنظيف الكيران وتنظيفها بالروايح الركية وتنظيف يده وثيابه، ولا يمحط بمحصولهم، ولا يصق ولا يتخطى رقابهم ولا يجمع الماء من أحد، جليل أو حقير، ولو من غير الفقراء، وأول مروره بالماء أن يتدنى بمن على يمين الشيع ويختتم عن على يساره، ويسعى أن يكون عارفاً بآداب الشرب ليرشد الشارب، ومن آداب الشرب أن يأخذ الكور يمينه وأن يشرب قاعداً ويتناول الماء بثلاث جرعات، يتعقب عقب كل جرعة خارج الإناء، ويتدنى في أول كل جرعة بالبسملة ويأتى عقبها بالحمدلة، ويسن بعد الشرب الحمد لله الذي أطعم وسقا وسوغه وجعل له مخرجاً، فيقول: هيبا لك يا أحمى، جعله الله لك صحة وعافية، ونحو ذلك في طيب خاطرهم، وإذا حال المرور عليه، يمر على الفقراء بالماء في موضعين: قبل فتاح المجلس وعقب الأكل، بعد أن تقرأ العاتحة، ويستأذن قبل أن يدخل الحنفية تعظيماً لها. فإذا كانوا حال الأكل وقف



على رؤسهم أو قريبا. معهم بالماء، ووضعهم بينهم، وهو أولى، رثما يعص بلقمة أحدهم، وإذا كان الذكر قائما ودخل فقير عرص عليه الماء، ولا يسقى أحدا حال الذكر ولا عقبه، إذا كانوا في زيارة أو أرادوا الذهاب إلى محل غير محله معهم الماء. ومن آدابه: التقيد بأبريق الاستحشاء ووضوء لمن أراد ذلك، وغسل الأيدي قبل الطعام وبعده، وغسل ثياب الفقراء، ولا يبهر أحدا ولا يعص في وجهه.

وأما آداب نقيب السباط فكثيرة، فمنها: أن يكون فطما حاذقا متحركا نشيطا بطيما ورعا زاهدا حسن الأخلاق، طيب الأوائ، يجود الطعام ويحسه بما يليق به، فإذا أراد الأكل قرأ المائدة واستأذن وسأل الله تعالى في سره السر وإنزال البركة في الطعام، وأن يجعله صحة وعافية وقوة على طاعة الله، ثم يعرش السباط قاصدا بذلك تعظيم العمة، ويرص الأوائ متوالية على محط واحد وهيئة واحدة، ولا بأس أن يكون معه معبر، وكوبه ساقى الماء أولى، لأن المرتبة قريبة، ويفعل ذلك كله وهو يقرأ سورة الإخلاص لأنها تطرد الشياطين وتحصل البركة في الطعام إن شاء الله، وإذا تم وضع المأكول قام على رؤسهم، وينبغي أن يقرأ سورة قريش في سره مرات قاصدا بذلك إذهاب صرر المأكول عنهم، وإذا رأى متأسرا قدومه أو مجسورا فسح له، أو فرغ الطعام من ناحية أحد لهم غيره، إن كان، فإذا تم أكلهم ورفعت الأوائ وفيها بعض طعام لعن منه بحصرهم، يريد بذلك التبرك بهم وإطهار الشرف بخدمتهم، وجمع ما يفضل لنقيب سعال وأكل معه، ثم إذا أراد طي السباط قال: أخلص الله على نادليه وهما أكبية وجعل البركة فيه، اللهم يا سابع العم ويا دافع النقم، يا من يطعم ولا يطعم جعل ضامنا هذا قوة وبلاغاً وصحة وعافية وشماء ونوراً وصعاء، ونجنا من نعتة في الدنيا والآخرة، واجعله من رزقك

الذى ترزقه من تشاء بغير حساب، يا أرحم الراحمين، آمين والحمد لله رب العالمين.

ومن آدابه: أن يحصل عنده بقية إذا توقع حضور أحد ليقدمه إليه في عمل وحده، وأن يأكل معه تطييباً خاطره من لم يكن عنده إلا طعام نفسه حصه به وآثره على نفسه.

ومن آدابه أن لا يأكل من الطعام قبل وضعه إلا بقصد دوقه، ولا يختص بشيء دولهم، ولا يؤثر أحدًا بشيء، من فعل ذلك فقد خان واستحق العزل، وإذا أعطاه أحد شيئاً يرسم الطعام من ورثهم فلا يدخره لنفسه، بل إذا لم يحتاج هو إليه في الحال للمفقرات تركه لهم لوقت الحاجة، وعيه السعي لمن لهم عليه عادة يبدلها لهم في كل جمعة أو شهر من ظمهم، وعلامة ذلك أنه لو لم يسع إليه الحاء هو بها إليه، ولا يحصى غير الشيخ شيئاً جاءه، بل يأتي به ويضعه بين يديه ويقول له: يا سيدى هذا من سيدى فلان، أو أختنا فلان، فإن أحده الشيخ فقد خرج من عهده، وإن أمره بأحده وحفظه فعل ذلك، وإن رسم له بالتصريف لأحد دفعه له، وإن وضعه بين يديه وأخبره به فسكت ولم يرد جواباً تركه وقام، ومن سوء الأدب أن يظن بشيخه سوءاً إذا أحد شيئاً ولم يخرج للمفقرات، فإنه أعرف بالمصلحة منه، فقد يمكن أن يكون يبدله لمن هو أحوج إليه منهم، وصاحبه في الحقيقة إنما قصد به أداء الحاجة، ولو علم غناهم عنه ما بدل له حيث كان من المخلصين في بدله، أما شخص يبدل شيئاً ليوضع بين هؤلاء الجماعة بخصوصهم قصد السعة، فعش هذا لا يقبل منه بحال لأنه أهانه على معصية.

ومن آدابه أن يكون عارفاً بآداب الأكل يرشد غير العارف بها برفق.

ومن آدابه — أى الأكل — اجنوس عى الركنين، أو يقيم رجله العى، ويصغر اللقمة ويطيل المضغ ولا يصفق ولا يخط بحال حال الأكل، ولا يفعل ما تستقدره النفوس، كوضع اللقمة فى فيه ثم يخرجها ويضعها فى الطعام بعد ذلك، ويسمى المهلس، ولا يرش رش ولا يجمع ولا يصنع اللحم على الخنز ولا الجبن على الرغيف ولا يكسره بموضعه، ولا يسد الإناء برغيف، وبأكل مما يليه، ولا يمد يده للطعام قبل الإذن ولا يحمل شيئاً معه ولا يرمى بالنوى، ولا يقشور البطيخ، بل يجمع ذلك بين يديه، وإذا عرص له سعال أو عطاس حوّل وجهه وفعل ذلك، وبأكل بثلاثة أصابع، فمما يأتى له فى ذلك، ويبدأ بالملح إن كان، ويحتم به، ويتناول اللحم أولاً ولا يقطعه بالسكين، إلا أن يكون عديم الأسنان، ولا يرده إذا قدم إليه، كما هو عادة <sup>والدين</sup> <sup>والحلوى</sup> والطيب والريحان فإنه يمس قبول ذلك، ولا يمسح بيده الخمر، ولا يتغنى كثرة الأكل وهو ما فوق الشيع حرام، وفوق الثلث مكروه، ويتأكد عن شرب الماء ما أمكن إلا لإصاعة لقمة، ولا يطأ طي رأسه على الإناء بحال الأكل، والحديث بحديث الصالحين حال الأكل مندوب إليه، ولا يسعى القسم إلا لتحتشم.

وأما نقيب الخصرة الذى هو باب الشيع وقيم اخلافة آدابه كثيرة.

عنها: أن يكون من أهل العلم، وأن يكون حلماً ورعاً راعياً كاملاً على أحسن الهيئات وأجمل الأحوال عارفاً بصريق مستحصر، لأدب المرئيين وآدابهم مع الشيخ، وآدابهم فى مجلس الذكر، يزل سمن مازهم متصدراً لتعلم الأدب باللطيف، محسناً إليهم، بشوشاً صامتاً، لا يمزح ولا يعث ولا يكتر الطر، ولا الالتفات لغير ضرورة.

ومنها: الوقوف بوظائف نقيام على رؤوس الفقراء، ويعمل ما يراه مصلحة مما جرت به العادة وإذا حفي عليه أمر يستشار الشيخ بالأدب والجلوس بين يديه بحفض الصوت وعصر النضر، وإذا رأى مرئياً يكلم الشيخ في شيء قال له: إذا أردت شيئاً قل لي، هذا إذا كان مما يتعلق بأمور العادات والمسائل العلمية، أو الآداب التي يحتاج إليها الحال، أما نحو واقعة أو رؤية أو وارد فلا يقوله المرید إلا لشيخه، لكن لا في محل اجتماعهم بل في وقت لائق لحلوة الشيخ، أو اعرادهما، إلا أن يقول له الشيخ: هات ما عندك، فإنه يقول، ولو بحضرة الناس، وقد يكون قصد الشيخ بذلك توبيخه أو توبيخ غيره، أو تشييط بمص الحاصرين أو غيره ذلك.

وبالحملة فللمشايع الصديقين مقاصم يذوق ويعسر إدراكها على غير أهل العناية ممن نور الله قلوبهم وظهر أسرارهم، نعم الله بهم، آمين.

وإذا شاور المرید النقيت المذكور في شيء ورأى المصلحة له، أو سأله عن مسألة عملية، أو في طريق القوم وهو يعرفها أرشده إليها، وإذا سأله عن شيء لا يعرفه سأل الشيخ، وعليه أن يتصف بانسك وكرم الزائر ويرعبه في الطريق ولا يستحسن على الشيخ رأياً ولا يهمل امرئيين يتحاسرون عليه ويسألونه، كي لا تسقط حرمة عندهم، لأن الطريق مباهة على الأدب وبه يحصل الترقى والانتفاع، ومن وظائفه المشي بالقدس أمام الشيخ ليلاً، ويقرب منه بحيث يسمع كلامه ويرد خطابه، ويحمل معه العصاة، ويسعى له الاشتغال بالتحاضير النافعة قاصداً بذلك تحوير إخوانه، ويقصد بحشيه أمامه أن يهديه بنفسه، ومن وظائفه السعي بجميع الفقراء وقت الحاجة إليهم، ومن وظائفه حفظ ما يسقط من ثيابهم حال الذكر وإصلاح المصاييح وعطاء الطيب ووضع السحور وتغريق ما جاء

للفقراء بمعرفة الشيخ، وحمل السحادة وفرشها وطبها، ولا يترك أحداً يجلس عليها، فإذا كان آخر الليل أبقت المقراء للتهجد بلطف ورفق، ويرغبهم بحو قوله: صار الركب وأنت نائم، البطل لا يطمع في منازل الأبطال، هذا وقت التحليات فأين الراعبون، هذا أوان المعامة فأين البادلون، هيا يا أصحاب المعصم هار قوام الليل عطلوهم، حصل المجتهدون على مرعوبهم، التحلف لا ينفع فيه التأسف، مولاك يدعوك إلى بابه، سيدك يطمعك سجنوس على موائد أحبابه، هل تدري ما جرى على القوم، يا أمير العفة واليوم، ومن وطائفة أنه إذا رأى غافلاً ذكره أو مسيئاً وعظه أو جاهلاً علمه، أو من يضحك لهره أو مسيء الأدب زجره، فلا يقر على مكر ولا يتغافل عن المریدين، بل يدقق عليهم ويؤاخذهم بما يغلب على ظنه، وإن لم يتحققه.

وبالجملة فهو الشيخ إذا غاب الشيخ، والمشار إليه إذا حضر، وإذا خالفه أحد من المریدين في معروف أعلم الشيخ بحاله بعد وقوع ذلك مرات منه.



# الباب العاشر

في النفوس وتقسيمها وأوصافها

وما يتعلق بها الأسماء التي يستعملها السالك في كل نفس





اعلم أن علماء التصوف قسموا النفوس إلى سبعة، وبالحقيقة أنها نفس واحدة لكن تسمى باعتبار صيغاتها المختلفة بأسمائها، وهذه النفس هي الناطقة، وتسمى بالطبيعة الربانية، فكلما اتصفت بصفة سميت لأجل اتصافها بها باسم من هذه الأسماء، فإذا تدنس بالميل إلى الطبيعة والركون إلى الشهوات واتصفت بالبخل والكبر والحسد والعجب وسوء الحق ونحو ذلك من القبائح سميت أماره، قال الصديق الأكبر ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالشُّوْءِ إِلَّا مَا رَجَعْنَاهُ﴾<sup>(١)</sup> ولما سكنت تحت الأمر التكلمي وأدعت لاتباع الحق وعرفت ما يجمعها عدواً وما يصرها، لكن بقي فيها ميل للشهوات العنسية سميت لوامه، فإن رآل هذا الميل وقويت على معارضة النفس الشهوانية وزاد ميلها إلى عام القس وتبقت الإلهامات وفهم الدسيات سميت مهمله، فإذا سكن اضطرابها وحسح هيجانها ولم يبق للشهوات حكم، بل سبقتها بالكلية وزالت عنها الصفات اللميمة، سميت مطمئة، فإذا ترفعت عن هذا وسقطت المقامات من عيها وفيت عن جميع مرادها سميت راضية فإذا راد هذا الحال عليها، وهو التعلق بالله وطلب رضاء حتى يتساوى عنها وصله وحفاه سميت مرضية عند الحق والخلق، فإذا أمر بالرجوع إلى العباد بإرشادهم وبسلوكهم وتكميلهم سميت كاملة، ويسمى ذلك عندهم بالمقامات، فطريق الله تعالى مازل عند أهلها يقطعها السالك واحدة بعد واحدة إلى أن يصل إلى آخرها، فيقطع السلوك ولا تنقطع التحليات ولو بعد الموت، كما مر، إذا تقرر ذلك فاعلم، وفقني الله وإياك لطريق المقربين، أن هذه الطريق، أعنى طريق العارفين، غير

محسوس ولا مشهور، وإنما هي سبوت مقنونة إلى علام الغيوب، فيجب على المرید التصديق بآثاره والإدعاء بسعادت أنواره، فحان هذا السالك في قطع هذه الطريق والمضار كحال المسافر، لا يجرى حرج محسوسة، لأن من أراد السير في طريق الخرج لا بد له من ترك ماله ودينه. هذا كسبك، ثم يترك الأهل والأوطان رعة في رضاء الله الديار، وكسبك هذا لا بد له أن يلتفت منه ولا يسرد أهل ولا أوطان ولا أصحاب ولا عيال. بل لا بد له من غير الأتس واحلاس لصير من الأكياس ثم لا بد له من زاد، وهي هنا التقوى، قال تعالى ﴿وَنُكْرُوا بِأَعْيُنِنَا خَيْرَ الْمَرْءِ الثَّقَوِي﴾ ولا بد له من سلاح يجره به عدوه، وهو هنا الذكر، ولا بد له من مركب حتى تقوم عليه خروجه، لأن هذا يرتقى المرید إلى أعلا المقامات، ولا بد له من دليل يسير إمامه وهو هنا الأستاذ المرمي، فإن من سلك طريقاً غير دليل تاه وصر وهلك مع هالكين، ولا بد له من رقة في طريقه يستأنس بهم ويساعدونه على ترويض صبريق والمراد منهم هنا الإخوان الطالبيين مطالبة، ثم إن المسافر إذا سار عد بلاذاً وفري ومدائن وقيم فيها ثم يرحل عنها متوجهاً إلى مطلوبه، كذلك المسافر سالك يمر في سيره على تلك المقامات السبعة متوجهاً إلى مطلوبه.

فالمقام الأول منها: ظلمة، لأعير، ويسمى بالنفس الأمارة.

والثاني: مقام الأنوار، ويسمى بالنفس اللوامة.

والثالث: مقام الأسرار، ويسمى بالمهتمة.

والرابع: مقام الكمال ويسمى بالنفس المطمئنة.

والخامس: مقام الوصال، ويسمى بالنفس الراضية.

والسادس: مقام تجليات الأفعال، ويسمى بالنفس المرضية.

والسابع: مقام تجليات الأسماء والصفات ويسمى بالنفس الكاملة.

وكلما كان الإنسان في مقام من المقامات كان محجوباً به عما بعده، فمن كان في المقام الأول فهو محجوب بالأعيان عن مشاهدة الأنوار، ومن كان في الثاني فهو محجوب بالأنوار عن الأسرار، ومن كان في الثالث فهو محجوب بالأسرار عن الكمال، ومن كان في الرابع فهو محجوب بالكمال عن الوصال، ومن كان في الخامس فهو محجوب بالوصال عن تجلي الأفعال، ومن كان في السادس فهو محجوب بتجلي الأفعال عن تجلي الأسماء والصفات، ومن كان في السابع فهو محجوب بتجلي الأسماء والصفات عن تجلي الذات، وهو شيء لا يمكن مع أن القوم يذكرونه ويعرفونه

واعلم أن بين العبد وربه سبعين حجاباً من ظلمة ونور، وهي راجعة إلى العبد، لأن الله تعالى لا يحجبه شيء، والمراد من الحجب عند المحققين بعد المناسبة فافهم، فإنه دقيق، ولا يعتقد أن الحجب أمور حسية ولا البعد بعد مسافة كما يهمهم القاصرون، فإن الله تعالى مترد عن بعد والقرب الحسيين، وعن الجهة والمكان والزمان وسلوك الطريق تمرير الحجب السبعين، وهي ترجع إلى السبع مقامات المذكورة، والنفس في كل مقام محجوبة بعشرة حجب: الحجاب الأول منها أكثف من الثاني، والثاني أكثف من الثالث، وهكذا إلى العاشر، وكذا كل حجاب في نفس أكثف من حجب النفس التي بعدها إلى النفس السابعة.

إذا عرفت ذلك فالمقام الأول هي النفس الأمارة فسيرها إلى الله، وعالمها عالم الشهادة، ومحلها الصدور، وجانها ميل، وواردها الشريعة، وجنودها الحيض

والحرص والحسد والكبر والفتنة والعصب وسوء الخلق والشرهة والعمى  
والخوض والإيداء باليد واللسان ولاستهراء والبغض، وغير ذلك من القائص،  
ودلك لأنها واقعة في صلام الطبيعة المدعية بالتأثر فلا تفرق بين أهل الحق والباطل  
ولا تميز بين الخير والشر، ولا يقدر الشيطان للعين على الدخول على الإنسان إلا  
بواسطتها، فكن معها أيها الأح على حذر ولا تأمن لها ولا تساعد لها ولا تنصر لها  
إذا آذاها أحد، بل كن معها له عليها وحيث تيقنت عداوتها لرمك تقليل الطعام  
والشراب والنمائم لتضعف هذه العسر الشهوانية الحيوانية، لأنها إذا ضعفت هان  
الخلاص منها، وتقدم الكلام على مجدها، وليكن ذكرك في هذا المقام لا له إلا  
الله، وتقدم أن يكون عند «لا» وتحقيق همة «إله» وفتح هائه فتحة حفيفة،  
وتسكين آخر لفظ الجلالة، وعدم الفص من الهاء ومن قولك: «إلا الله» وإياك  
أن تنهاون في تحقيق همة «إله» فذلك إن لم تحققها قلبت ياء وصار الذكر لا يلاه  
يلا الله، وهذه ليست كلمة اتوحيد، فلا ثوب بتكرارها، وأكثر منها في القيام  
والقعود والاصطجاع في جميع الأوقات، ودلك بالجهر والقوة، فإن التأثير المطلوب  
من هذا الاسم لا يحصل إلا بالإكثار والإجهار آباء الليل وأطراف النهار، فإن  
الذكر بالسر والهوى لا يعيد رقياً وبضول به الطريق على السالك بخلافه بترك  
العلة مع الاستحضار والإجهار إذا دم على ذلك ملأ قلبه بالأنوار وأودع فيه  
الأسرار، وهذا الذكر الذي سماه الله في كتابه العزيز بكلمة التقوى، والكلم  
الطيب، والشجرة الطيبة، والعروة الوثقى، فهو أفضل الأذكار، وهو حصن الله  
تعالى، قال ﷺ: «لا إله إلا الله حصي، فمن دخل حصني أمن من عذابي» وقال  
ﷺ: «لا إله إلا الله أفضل الذكر، وهي أفضل لحسات، أسعد الناس بشماعتى من  
قالها خالصاً من قلبه، ما من عبد فاض ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة، وإن زنا

وإن سرق، وإن زنا وإن سرق، وإن ربا وإن سرق» وقال ﷺ: «من صلى الصبح في جماعة ثم يقعد يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ثم يصلي ركعتين كان له كأجر حجة وعمرة تامة» وفي رواية أخرى: «انقبت بأجر حجة وعمرة» وقال ﷺ: «لأن أقعد مع قوم يذكرون الله من صلاة العداة حتى تطلع الشمس أحب إلى من عتق رقبة من ولد إسماعيل، ولأن أقعد مع قوم يذكرون الله من صلاة العصر حتى تغرب الشمس أحب إلى من الدنيا وما فيها».

والملازم على هذه الكلمة يرى لها من الأسرار ما لا يدخل تحت حصر، وثورته التوحيد الخاص المعروف عند القوم، وتبسيه الخاتم

فادخل يا طالب الخلاص حصن مولات وخص نفسك من سجن الطبيعة لتسال المقامات الرفيعة مع المجاهدة، **أكل الخلال** وأصقل مرآة قلبك ليزول عنها الران المانع لها من إدراك حقائق الأشياء وعن فهم دقائق العلوم، لأنه مرآتك، وأنت في هذا المقام قد علامها الصدا من الكبر والعجز والطمع والعجب والشهوة والشهرة والحقد والحسد والعصب وسوء الحق، وعمر ذلك مما تعرفه من نفسك من الجهل والغرور، فالواجب الأهم في هـ - مقام الخلاص من هذه التباسات التي ممتعت القلوب عن مطالعة العيوب بالذكر لكثير.

تنبيه. ولا يجوز للشيخ المسك أن يقرر مراده من الاسم الأول إلى الاسم الثاني حتى يظهر من لوث دس عبار الأعبار، ويشور طلعة ليل وجوده بأقمار معارف الأنوار، ويعيب في وجوده عن مسماه في شهوده، فلا يزال في معراج هذا الاسم صاعداً، وبالاشتغال ليراد اشتغاله واقفاً حتى تنادي روحانيته من غير حجاب، وتخطبه بأفصح خطاب، فحينئذ يشرف على عالم شهادته ويلبس حلق سيادة سعادته بعد نزع صغات طوائع عادته، فإذا اشتغبت في خلاص نفسك من

هذه الآفات، وبدلت أوصافها بأصناف حميدة، شاهدت بعض العجائب المكنونة والأسرار المخروية في صدف البشرية، وفهمت قول المحقق شعرا:

دواؤك فيك وما تنصر      ودواؤك منك ولا تشعُرُ  
وترغم أنك حرم صعب      وفيك انطوى العالم الأكبرُ

المقام الثاني: النفس اللوامة. فسرها إلى الله وعالمها عالم البرح ومحبها القلب وحاطها المحبة وواردها الطريقة وصعدتها اللوم والذكر والعجب والاعتراض على الخلق والرياء الخفى وحب الشهرة والرياسة، وقد بقى معها بعض أوصاف الأمانة، لكن مع هذه الأوصاف ترى حق حقا وترى الباطل باطلا، وتعلم أن هذه الصفات مذمومة ولها رعية في الطاعات وفي المجاهدات وموافقة الشرع، ولها أعمال صالحة من قيام وصيام وصدقة؛ وغير ذلك من أفعال الخير، لكن يدخل عليها العجب والرياء الخفى، فيحب صاحب هذه النفس أن يطلع الناس على أعماله الصالحة، مع أنه يحجبها عنهم ولا يظهرهم عليها ولا يعمل لهم، بل عمله لله تعالى، إلا أنه يحب أن يُحمد ويثنى عليه من جهة أعماله، ومع ذلك يكره هذه الحصلة ولا يمكنه قلعها من قلبه بسكية، ولو أمكنه كان من المخلصين، والمخلصون عنى خطر عظيم، قال عليه السلام: «كل الناس هلكي إلا العالمون، والعالمون هلكي إلا المخلصون، والمخلصون عنى خطر عظيم» وذلك لأن المخلص يحب أن يكون معروفاً بالإخلاص، وهذا هو الرياء الخفى عند المحققين، لأن الرياء الخفى: العمل لأجل الناس، فإن كنت منصفاً بهذه الصفات فأنت في المقام الثاني، ويقال لنفسك: لوامة، وهو مقام لا يستقيم صاحبه من الخطر، ولو أخلص في أعماله،

وهذا مقام ثانٍ بالنسبة إلى سلوك المقربين الطالين الصفاء عن نفوسهم والبقاء  
برحمهم، الذين أمروا بالموت قبل انقضاء آجالهم فقال لهم: موتوا قبل أن تموتوا.  
وأما بالنسبة إلى الأبرار أهل اليمين فهو آخر مارهم، وأعلى مقامهم،  
ولذلك قالوا: حسبات الأبرار سيئات المقربين، لأن المقربين لا يقفون عند هذا  
المقام الثاني بل يطلبون غيره إلى أن يصلوا سابع مقام، فيكون لهم بعد ذلك خمس  
مقامات، وإنما لم تقف المقربون في مقام لثاني لما فيه من الخطر العظيم، لأن أعلا  
درجات هذا المقام الإخلاص، والمخلصون على حطر عظيم، ولا يكون الخلاص  
من هذا الخطر إلا بالصفاء عن شهود الإخلاص بشهودهم إذ المحرك والمسبب هو  
الله تعالى، شهود ذوي، وهذا الشهود متوقف على سلوك طريق المقربين، وإن  
الأبرار لا تصل إليه ولا شمس لا رائحة، لأنهم نظروا أهم أوجدوا أعمالهم فطولها  
بالإخلاص، ولم يشهدوا أن الله تعالى خالق الأفعال كلها فوقفوا بالصفاء والتعب،  
وصار أحدهم لو دخل في حجر رجب بقبض الله له من يؤديه، وذلك لما فيه من  
الشهرة المقتضية للعجب والكبر وسوء الحق، وبحو ذلك، وهذه الأشياء مقتضية  
للتعب والصيق الصدر، وصرع بعضهم مثلاً بوضع الفرق بين الأبرار  
والمقربين، وبين تعب هؤلاء وراحة هؤلاء فقل: مثل ذلك كشجرة عظيمة خبيثة  
كثيرة الأغصان كل غصن منها يثمر نوعاً من السم القاتل، فجاء أناس فاشتعلوا  
بقطع تلك الأغصان ولم يلتفتوا لقصع تلك الشجرة من أصلها، ولا لقطع الماء  
عنها لتيبس، وأرادوا التخلص منها، فلا يمكنهم الخلاص، لأنهم كلما قطعوا غصناً  
بيت غيره لبقاء الشجرة، ودوام سقيها، فجاء آخرون فقطعوا الماء عنها فضعفت  
ولم تثمر فتخلصوا منها وأراحوا نفوسهم من تعب هؤلاء، فالشجرة مثل بطن  
الإنسان، والمأكّل مثل الماء، والأغصان مثل الصفات الدائمة كالكر والحسد،  
والشجرة مثال لما يحصل من هذه الصفات من الآثار في الخارج، فالأبرار لما علموا

بالدليل أن هذه الصفات مهلكة وليس في سبيل الآخرة سعوا في إزالتها شيئاً فشيئاً، ولم يقدرُوا على الخلاص فيها بسكينة، لأهم كما ملئوا بطولهم بالشهوات تقوى بشرتهم ويتعكر الشيطان منهم، فيقع منهم تلك الأشياء بالجوع والمجاهدات، وعلموا بالدليل والتجربة أن الطل هي مع الفساد والصفات الدميعة، سعوا على الخلاص من شره بذلك، فتخلصوا من جميع تلك الصفات، فإذا أردت الانتظام في سلوكهم والخلاص من جميع الآلام والراحة على الدوام فاسلك مسلكهم واقف أثرهم بالترقى من مقام إلى مقام حتى تصل إلى المقام السابع، فيه ترى العجائب، والترقى يكون بالمجاهدة والاشتغال بالأسماء، هي كل مقام تشتعل به باسم محصور بذلك المقام، وكلما أكثر من الاشتغال به قربت عليك العتق في الطريق، وكلما توأمت وأحبت وبراحت بعدت عليك، واشتعلت أنت في هذا المقام بالاسم الثاني (هو: الله اسم الله، يسكون الهاء، وكذا يسكون آخر كل اسم من السعة، وأكثر منه، فوه لا يجمع ولا يظهر العجائب إلا الإكثار آباء الليل وأطراف النهار، وجعل لك أوقاتاً تجلس فيها مستقبل القبلة، إذا أمكنك، وغمض عييك وأذكر هذا الاسم بشدة وقوة ورفع صوت، ورفع رأسك إلى فوق وأصرب به صدرك، كما مر، ولا تلتفت يمينا ولا يساراً، وحقق همزة الله ومد الألف قبل هاء الساكنة، ورياك أن تفصي بك العجلة إلى أن تقول: هلا هلا، ولا يكون لك ذلك إلا إذا تركت تحقيق همزة، واعلم أنه ليس في الأذكار كلها أوسع مدداً ولا أقرب تأثيراً منه في ذلك المحل، فبطع الداكر بالإكثار منه على الأحوال الغيبية والأسرار المدكوتية وما لا يدخل تحت حصر، وبالحقيقة فهو الاسم الأعظم الذي إذا دُعِيَ به أحاب، وإذا سُئِلَ به أُعطي، بشرط أكل الحلال والمشى على طريق الكمال، فعليك بالإكثار من هذا الاسم فإنه سيد الأسماء، ومحط رجال العلماء الذي يشير إليه الأولياء، ويتحلى به الأصفياء، ثم



اعلم أنك في هذا المقام كثير الخطاظر. كثير لومساويس، ولهذا الاسم نار تحرق به ذلك فكن مكثراً به ولا تبال باخطاظر، فلا يمكنك الخلاص منها بالسرعة لأن مرآة قلبك متوجهة للخلق، ولا شك أن المرآة إذا توجهت إلى شيء انتقش ذلك الشيء فيها، فإن كنت متعشفاً إلى رلال الوصال فاترك الخلق وجميع اللذات ولازم المجاهدة تنتج المشاهدة، فإذا أردت مقامات العلية فاترك الخلق بالكلية وأنس جميع أهلك وصحبك واشتغل بربك وهو الفتح العليم، وهذا المقام أول مقام المقربين.

المقام الثالث: النفس الملهمة، فسر بها إلى الله بمعنى أن السالك لا يقع نظره في هذا المقام إلا على الله لظهور الحقيقة الإيمانية على باطنه، وفنى ما سوى الله في شهوده، وعلمها عالم الأرواح ومحمل الروح وحالها العشق، وواردها المعرفة وصعاتها السخاء والقناعة والعزم والتواضع والصبر والحلم وتحمل الأذى والعور عن الناس وحملهم على الصلاح وقبول عثرهم، وشهود أن الله آخذ بماصة كل ذائبة، فلم يبق له اعتراض على مخلوق أصلاً، ومن صفاتها: الشوق والهيمن والبكاء والقلق والإعراض عن الخلق، والاشتغال بأحق، والتوهم وتعاقب القمص والبسط وعدم الخوف والرجاء وحب الأصوات حسنة، وزيادة إيمان عند سماعها، وحب الذكر وبشاشة الوجه والمرح بالله والتكلم بالعلم والمعارف والمشاهد، وسميت ملهمة بأن الله تعالى أهمها إما محورها أو تقواها، لقوله تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ ٨ ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ ٩ أى صهرها بالمجاهدة لإهام ما تنقى الله به.

واعلم أنه لا يكون الخلوص من هذا المقام إلا بأنعاس المسلك ليخرجه من ظلمات الشبهات إلى نور التجليات، لأنه وهو في هذا المقام ضعيف الحال

لا يفرق بين الجلال والكمال، ولا بين ما ألقاه الملك ولا بما ألقاه الشيطان، لأنه لم يخلص من الطبيعة بالكلية، ولم يسب عنه جميع مقتضيات البشرية وبخشي إن غفل عن نفسه أن تهوى إلى سجين وسفل سافلين، أعى المقام الأول الذي تسمى فيه النفس بالأماراة فرجع إلى ما كان عليه من الأكل الكثير والشرب الكثير والنوم الكثير والاختلاط مع الخلق، ورى يفسد اعتقاده ويترك الطاعات ويرتكب المعاصي ويزعم أنه موحد مكاشف بحقائق الأشياء وأنه من المحققين، وأن عمره من أهل الطاعة محجوب من هذا الشهود، فإذا فسد اعتقاده هلك مع الهالكين، والتحق بالكفرة المشركين، وصاع نعبه وعاء وما بلغ منه، فظن أن التحيلات الشيطانية بتحليات رحمانية، فالواجب عليك أيها الأح متاعفة الشيخ، وإن سولت لك نفسك أنك أعلى منه وأنت موحد، وهو محجوب، ويجب عليك أيضاً اتباع الشرع وملازمة الأدب، وتكره نفسك على ملازمة الأوراد وتقيد بها بعبود الطريق لأنها في هذا المقام مائلة إلى الإطلاق ومخطة العلة وعدم المبالاة.

والمقصود مخالفتها إلى أن تطمئن، وذلك بالوصول إلى المقام الرابع، وفيه سعادة الدارين وقرّة العين، ومنى وضع نسائك قدمه فيه يخلص بعود الله من جميع الآفات العسائية، لأنه ترقى إلى أول درجات الكمال، وهبت عليه سمات القرب والوصول، وانتقل من التنوين إلى التمكين فلا يحتاج إلى المسلك إلا القليل من السالكين، فانحصر وأترك رعونات النفس ولا تعتر بما لاح لك من التوحيد فإنه سبب لرجوعك وانقطاعك عن مطالبة العلية مستعيناً به على تمزق ما بقى من الحجب الوردانية واطلب الحصرة الأحدية، وتعلق بأذيال شيخك، ودُمّ على ما كنت تفعله من تقليل الطعام والناس وتقليل الاجتماع بالناس، ولا يغلب على

ظنك أنك أعلم من شيخك فتُحرم المدد منه، واجزم بأن خلاصك على يديه وتحمل ما تلقاه منه من الأذى، وإياك أن تسكر عينه حالة من حالاته.

وبالجملة فإن هذا المقام الثالث مقام تذلل فيه الأقدام جامع للخير والشر، فإن غلب خيرها على شرها ترقى إلى المقامات النبوية، وإن غلب شرها على خيرها نزلت إلى سجون الطبيعة وأرض القطيعة وأسفل السافلين، فيحب عليك حينئذ إتعاب النفس وتحقيرها، وعلامات غلبة الخير على الشر أنك ترى باطنك معموراً بالحقيقة الإيمانية بأن تعتقد أن ما في الوجود جارٍ على وفق إرادة الله، مقدراً بقدرته تعالى، ويكون ظاهرك متلبساً بالطاعات محتباً جميع الكبار والصغائر، كثير الاجتهاد، وعلامة غلبة الشر على الخير أن تترك الطاعات، ولا يكون ظاهرك معموراً بالشرعية، وفيه ضد ما تقدم.

ثم اعلم أن رضاء الله وتجلياته لا يصل للعبد إلا من باب الطاعات، وأن سخطه وطرده وبعده لا يصل للعبد إلا من باب المعصية، ولقد أخفى غضبه في معاصيه ورضاه في طاعته، فقف على باب لشريعة وآدابها وقفة الدليل، واسأل مولاك واستعن على مطالبك بتلاوة الاسم الثالث، وهو هو تظهر إن شاء الله على الهوية السارية في جميع الموجودات، لا بشرط شيء ولا بشرط لا شيء، وليكون أولاً بقاء الداء ثم بدونها، وتكثر من تلاوته في جميع الأوقات في القيام والقعود والاضطجاع أثناء الليل وأطراف النهار لتخص بركته من خطر هذا المقام، وبه ينقطع ما بقي من التعلقات بالنفس إلى المقام الأول والثاني لأنها لا تخلو من الالتفات إليهما، لأن الطبع يعلب الطبع، وهي تترقب غفلتك، فمضى غفلت عن سوقها وزجرها عادت لإلفها وشوقها في هذا المقام بالعيش والطمأنينة والشوق إلى

الوصال والاجتماع مع الإحياء وتذكر لقاء المحبوب والتمتع بحال المعشوق، فإن هذه الأشياء تقوى السالك على السير، خصوصاً إذا رأى نفسه رجع إلى ورائه.

واعلم أنك يا حبيبى فى هذا انقدم تحتاج إلى خلع العدر وإسقاط حرمتك فى أعين الناس، حتى لا يكون هم بك عفاً ولا يكون لك عندهم قيمة ولا قدراً ولا ذكراً لأن هذه الأشياء يلتذ بها لعاشق، وبها يعلم الكاذب من الصادق.

قال سيدى عمر بن القارضى:

ولو عز فيها الدل ما لد للهوى ولم يك إلا الحب فى الدل عزتى

فاحلع العدر ولا تحش من العار، فإنك فى هذا المقام لا يعسر عليك خلع العذار كما يعسر فى غيره من المقامات، لأن هذا المقام مقام العشق، والعاشق لا يعسر عليه خلع العذار، فإذا أتممت خلع العذار ماتت نفسك الشيطانية القاطعة لك عن مرادك، يحصل لك خطاب الروحانيين بأمر أو هي أو خير، فلا تلتفت إلى شئ من ذلك واحلع العدر بأن تستعمل أموراً تسقط حرمتك فى أعين الناس موافقة للوجه الشرعى، وفائدة خلع العدر قطع الموانع التى تمنع عن لقاء المحبوب.

تنبيه: مر أن خواص هذه الأسماء لا تظهر إلا بكثرة الذكر الجلى القوى للمداومة على الأدب، وهو أن يكون مستقبل القبلة إذا أمكه جالساً على ركبته أو قائماً مغمضاً عينيه وأن يكون حابٍ للبال، وأن يلقى سمعه إلى عطفه صاعياً لما يقول، مع نظافة الظاهر والباطن، فإن كنت مع هذه الآداب متمسكاً بالشرعية فقد قرب الفتح عليك، فلا ثقل ولا تصجر إذ تعوق عليك الفتح، فإنه لا بد لك منه، لكن بشرط الاستقامة والتمسك بالشرعية والطريقة، واجعل ذكرك بهذه الاسم فى بعض الأوقات «لا هو إلا هو» عند «لا» ومد واو «هو» لأنه ذكر عظيم الشأن، وكن حالة الذكر كأنك تحاطب أعضاءك بأنه يس فى الوجود إلا

هوية الحق تعالى، وأن كل ما سوى الله فهو آثار صفاته وأفعاله، فهذا المشهد مشهد الكاملين.

المقام الرابع: وهي النفس المظمنة، فسيرها مع الله، وعالمها عالم الحقيقة الحمديّة، ومحلها السر، وحالها الطمأنينة الصادقة وورده بعض أسرار الشريعة، وصفاتها الوجود والتوكل والحلم العادة وشكر الرضا بالقضاء والصبر على البلاء، وعلامة ذلك في هذا المقام أنك لا تعرف الأمر التكميلي شيئاً، ولا تلتد إلا بالخلق بأخلاق المصطفى ﷺ، ولا تطمئن إلا باتباع أقواله، لأن هذا المقام مقام الممكن.

وفي هذا المقام يلتد للسالك أعين الباطنيين وإسماع السامعين، حتى إنه لو تكلم طول الدهر لا يمل كلامه، وذلك لأن لسانه يترجم به عن إلقاء الله في قلبه من حقائق الأشياء وأسرار الشريعة، فلا يحكم كلمة إلا وهي مطابقة لما قال الله ورسوله من غير مطالعة في كتاب ولا إسماع من أحد، لأنه قد سمع بعير حاسة ما ألقاه الله في سره وخلع عليه الوقر والفور فيجب على السالك في هذا المقام الاجتماع مع الخلق في بعض الأوقات ليعبر عليهم بما أعم الله به عليه، ويترجم عما في قلبه من الحكم الإلهية، وليكن له مع الله وقت لأنه وهو في هذا المقام في أدنى درجات الكمال، فلا يأسه مخالطة الحق في جميع الأوقات لئلا يحرم الترقى إلى المقامات الباقية، أعني الخامس والسادس والسابع، فمضى رأى الفائدة في العرلة اعترل، أو في الاجتماع اجتمع، وعلامة فائدة الاجتماع أن يستعيد الحاضرون معه عما أوهبه الله من العلم، أعني علم الصدور لا علم السطور، واشتغل وأنت في هذا المقام بالاسم الرابع، وهو: حق حق حق، بحرف الداء أو بدونه فأكثر منه، ولا تلتفت لما ظهر لك واظلب من ربك أن لا يظهر لك على ما يكون سبباً

لَانْقِطَاعِكَ عَنْ خِدْمَتِكَ، وَلِدَعْوَتِكَ تَرَى أَحْمَوطِينَ مِنَ الْكَمَلِ إِذَا أَظْهَرَ اللَّهُ عَلَى أَيْدِيهِمْ شَيْئًا مِنَ الْكِرَامَاتِ لَا يَنْفَتَحُونَ رُيُوسًا وَلَا يَعْلَمُونَ، أَظْهَرْتَ لَهُمْ كِرَامَةً أَمْ لَا، فَتَرَكُوا ذَلِكَ وَقَالُوا:

كُلُّ شَيْءٍ مَا حَلَا اللَّهُ بِأَصْلٍ      وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ زَائِلٍ  
وَإِذَا كَانَتِ الْكِرَامَاتُ لَيْسَتْ شَيْءٌ قَيِّمًا لِأَهْلِ إِكْرَامٍ مِنَ اللَّهِ لِعِبَادِهِ، وَلَكِنْ تَطْلُبُهَا وَالْمِيلَ إِلَيْهَا فَيُحِيقُ قَاطِعٌ عَنْ حَصَرَاتِ الْقُرْبِ الَّتِي لَا تَنَالُ إِلَّا بِالْعِبُودِيَّةِ الْمَوْدِعِ فِيهَا أَسْرَارَ الرُّسُومِ، وَمَتَى أَحَبَّ دَعْوَتُ حَرَجٍ مِنَ الْعِبُودِيَّةِ وَصَارَ يَتَطَاهَرُ بِهَا عَلَى غَيْرِهِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ السَّالِكَ فِي هَذَا الْمَقَامِ يُحِبُّ الْأُورَادَ وَيَمِيلُ إِلَيْهَا، وَكَذَا الْأَدْعِيَةَ، وَيُحِبُّ حَصْرَةَ الَّتِي لَا تَكُونُ غَيْرَ الْحِمَّةِ الَّتِي كَانَتْ قَبْلَ هَذَا الْمَقَامِ، وَلَا تُؤَمِّنُ مِنَ النَّفْسِ فِي هَذَا الْمَقَامِ وَلَا غَيْرِهِ، لِأَنَّ الْعَدُوَّ الَّذِي عَرَسَتْ فِي طَعْمَةِ الْعِدَاوَةِ لَا يُؤْمِنُ وَإِنْ صَارَ صَدِيقًا، وَلِأَنَّ الْإِنْسَانَ مُتَعَرِّضٌ لِلْمَحْضِ وَالْبِلَايَا، وَقَدْ يَعْصُرُ لَهُ حَبُّ الْمَالِ مَا فَلَا يَضُرُّهُ، بِشَرَطِ أَنْ يَكُونَ قَصْدُهُ بِهِ الْإِسْتِعَانَةَ عَلَى اللَّهِ وَعَلَى أَنْ يَعْينَ بِهِ الْأَحْوَالُ وَأَنْ لَا يَشْتَغِلَ قَلْبُهُ بِتَحْصِينِهِ، وَإِنْ حَصَلَ شَيْءٌ مِنْهُ فَلَا يَحْفَظُهُ عَنِ النَّاسِ إِطْهَارًا لِنَعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَتَحَدُّثًا بِنِعْمَتِهِ، وَيُظْهِرُ لَهُمُ الْفَقْرَ مِنْ نَفْسِهِ وَاسْتِغْنَى مِنَ الْخَوَلِ وَالْقُوَّةِ، وَقَدْ يَعْصُرُ عَلَيْهِ فِي هَذَا الْمَقَامِ حُبُّ الرِّيَاسَةِ وَتَدَعِيْلُ عَلَيْهِ نَفْسَهُ بِأَنْ يَتَعَرَّضَ لِلْمُشِيعَةِ وَالْإِرْشَادِ وَاجْتِمَاعِ سَائِرِ عَلَيْهِ لِيَحْصَلَ عَلَى يَدِهِ الْإِهْتِدَاءُ فَلَا يَلْتَمِصُ إِلَى ذَلِكَ، فَإِنَّهَا دَسِيسَةٌ مِنَ النَّفْسِ، فَلْيَحْدَرْ وَيَدْفَعْ وَجْهَهُ فِي الْخَمُولِ، وَأَمَّا إِذَا أَقَامَهُ اللَّهُ وَأَشْهَرَهُ وَأَلْبَسَهُ ثَوْبَ الْمَشِيعَةِ مِنْ غَيْرِ سَعْيٍ مِنْهُ وَلَا جَدِّ وَلَا تَطْلُبِهَا، وَمَعَ ذَلِكَ يُحِبُّ الْخَمُولَ فَلَا يَأْسُ بِظُهُورِهِ، فَإِنَّهُ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الْإِعْتِرَالِ، وَعَلَامَةُ إِقَامَةِ اللَّهِ لَهُ أَنْ يَكُونَ مَحْبُوبًا لِأَخْوَانِهِ وَهُمْ مُضْطَرُّونَ لَهُ، وَلَا يَرَى لِنَفْسِهِ عَلَيْهِمْ تَحْمِيرًا

كأنهم حير من وجه، لأنهم يرون أنفسهم أحقر منه، فيكون هو أعظم احتقاراً  
 منهم طالباً بذلك دعوة صالحة منهم تدخله رحمة ربه، وإذا وصل السالك إلى  
 الرابع وصارت النفس مطمئة إلا أنها لا تصلح للإرشاد لاعتدام شروطه بها،  
 فينبغي أن لا يستعجل في التقدم حيث كان هناك من هو أفصل منه، ويكمل  
 سلوكه بالترقى إلى المقام الخامس فالسادس فالسابع، وإذا عرفت الفرق بين  
 النوس عرفت أنه لا خلاف في المعنى بين من قال: إن المقامات سبعة التي يترقى  
 بها السالك وهم الخلوتية، وبين من قال: إنها ثلاثة وهم غيرهم، لأن غير الخلوتية  
 لا يعدون المقام الأول مقاماً فيعدون الثاني والثالث والرابع، ولا يعدون الخامس  
 والسادس والسابع لأنهم لم يعتبروا النوس المركبة باعتبار الفطرة، ولا شك أن هذه  
 النوس إذا وصلت للمقام التي تكون فيه النفس مطمئة كملت وصلحت  
 للإرشاد، وأما الخلوتية الذي هذا الكتاب على منبهم فجعلوا المقامات سبعة  
 وجعلوا أولها مقام النفس الأمانة آخرها النفس الكاملة، فغير الخلوتية لا يلحقون  
 السالك إلا ثلاثة أسماء، فلا يلقنوه وهي في النفس اللوامة إلا: لا إله إلا الله، وفي  
 أوائل الملهمة: الله الله الله، وفي آخرها هو هو هو، وبهذا الاسم يدخل على  
 المطمئنة ولا يلقنوه غيره بخلاف الخلوتية، فإنهم يلقنوه سبعة أسماء في السبعة  
 نفوس، ففي الأول يلقنوه لا إله إلا الله فإذا ظهرت العلامة واستحق النقطة لقلوه  
 الله الله إلى آخر السبعة، هكذا كلما ظهرت العلامة نقلوه إلى ما بعده إلى آخر  
 المقامات. انتهى.

**المقام الخامس للنفس الراضية:** فسيرها في الله وعالمها اللاهوت، ومحلها  
 السر، وحالها الفناء لكن لا بمعنى اللفظ الذي مر بيانه، والفرق بينهما أن ذلك  
 حال المتوسط في الطريق وقد عرف أنه دهرل الحواس عن المحسوسات وهذا حال

المشرفين على البقاء السين هم في آخر السبوك، والمراد به محور الصفات الشريفة والمهي للبقاء من غير أن يعقبه البقاء في الحال، لأن ذلك البقاء هو حق اليقين وهو بعد البقاء، وهذه النفس — أسمى الراضية — ها وارد، لأن الوارد لا يكون إلا مع بقاء الأوصاف، وقد رالت في هذا المقدم حتى لم يبق لها أثر ولذلك كان السالك في هذا المقام قابلاً لا باقياً بعينه كما كان قبل هذا المقام، ولا باقياً بالله كما يكون في المقام السابع، وهذه الحالة لا تدرث إلا دوفاً، وقد يمكن الكامل أن يهملها للمريد المتهيب للكمال.

وصفات هذه النفس. الرهد فيما سوى الله، والإخلاص والبرع والنباهة والرضا بكل ما يقع في الوجود من غير اختلاص قلب ولا توجه للنع مكروه، ولا اعتراض أصلاً وذلك لأنه مستغرق في شهود الجمال المطلق ولا تحجبه هذه الحالة عن الإرشاد والصيحة للخلق، وأمرهم ولهم ولا يسمع أحد كلامه إلا ويتمتع به كل ذلك وقلبه مشغول بعالم اللاهوت وسر السر، وصاحب هذا المقام غريق في بحر الأدب مع الله لا ترد دعوته، ولحق أن صاحب هذا المقام ليس له ركون إلى ما سوى الله فمضى رأيت نفسك تركز لعينه فاعلم أنك لست من أصحاب هذا المقام، لأن صاحبه أشرف على سلطنة الباطن التي جميع الظواهر تحت قهرها، واشتعل وأنت في هذا المقام بالاسم الخاص وهو: «حي حي حي» فأكثر منه فيروا فناؤك، ويحصل لك إبقاء بالحي فتدخل في المقام السادس وترقى من الوقوف على الباب إلى منارل الأحياء ونعت بالحي واتصفت بالصفات الكاملة وهو معنى: «كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به» المعبر عنه بقرب المواقف.



واعلم أن من الأسماء أسماء يقال لها مروع، وهى: الوهاب الفتاح الواحد الأحد الصمد فاشتعل وأنت فى هذا المقام باسم الفتاح أو باسم الوهاب مع الخامس وهو الحى، يسهل عليك الانتقال إلى المقام السادس الذى أنت فيه فى غاية الاحتياج، والله الموفق الهادى.

المقام السادس للنفس المرضية: سرها عن الله وعالمها عالم الشهادة ومحلها الخفاء وحالها الحيرة وواردها الشريعة وصماقها حس الخلق وترك ما سوى الله واللفظ بالخلق وحملهم على الصلاح والصمغ عن ذنوبهم وحبهم والميل إليهم لإخراجهم من ظلمات طبائعهم وأنصهم إلى أنوار أرواحهم، للميل الذى فى النفس الأمارة لأنه مذموم.

ومن صفات هذه النفس: الجمع بين الخلق والخالق، وهو نعيم لا يتيسر لأصحاب هذا المقام، ولذلك صاحبه لا يتميز من العوام بحسب ظاهره، وأما بحسب باطنه فهو معدن الأسرار.

وسميت هذه النفس بالمرضية لأن الله قد رضى عنها، ومعنى كون سرها عن الله أنها أخذت ما تحتاجه من العلوم من حضرة الحى القيوم ورجعت من عالم الغيب إلى عالم الشهادة لتنفيذ الحق مما أسمع عيها، وحالها الحيرة المقبولة، وهى المشار إليها بقوله: رب ردى تحيراً، إلا الحيرة المذمومة التى فى أهل السلوك.

ومن شأن صاحب هذا المقام الوفاء بما وعد الله، فلا يخلف الله وعده أصلاً وضع كل شيء فى محله فينطق الكثيرة رد صادف محله حتى يظن الجهول أنه أسرف، ويخجل بالقليل إذا لم يصادف معه حتى يظن الجهول أنه أنجل من كل بخيل، ولا يلتفت لمذح ولا دم فى الإعطاء.

ومن أوصافه أن جميع مشوفه في احالة الوسطى وهى بين الإهراط والتفريط، وهذه الحالة لا يقدر عليها إلا من كان في هذا المقام.

واعلم أنك في أول هذا المقام تلوح بك بشائر الخلافة الكبرى، وفي آخره تجمع عليك خصلتها وفي حلقه «كنت سمعته ندى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها، ففى يسمع روى يبصر روى يبطش روى يمشى» وهذه نتيجة قرب الوافل، وهو أن يكون التأثير للعبد باستعانة الحق بمعنى قد اتصف بصفات التأثير من فيض الملك القدير، فافهم.

وتحقق هذا المقام أن السالك إذا وصل إلى مقام الصفاء، وهو المقام المذكور قبل هذا، تحقق صفاته الدائمة البشرية التى هى محل الانفعال والشقاوة والدعوى وذلك هى سبب قربه بالوافل التى هى الرياضات والمجاهدات للنفس، وقد حرت عادة الله أن يهبه كرمًا من صفات ماضية لتلك الصفات مؤثره بادن واهبها، وهذا هو حق اليقين الآتى فى الخاتمة، وأحق أن هذه الأمور لا تتركها العقول، ومتى حاول إدراكها العقل وقع فى الرندقة لأن الصفاء ليس فى الخارج له بطريق حتى يمثل له، وكذا البقاء بالله، وكذا قرب الوافل وقرب العرائص، واشتغل وأنت فى هذا المقام بتلاوة الاسم السادس وهو: «قيوم قيوم قيوم» فأكثر من بصير حساس الأبرار سميات لك، ولا تزال متأدبًا بأداب الشريعة والطريقة إلى أن تستقل إلى المقام السابع طالبًا التحقيق بالسورة الآدمية التى كانت قبل الملائكة التى حقيقتها الحقيقة المحمدية.

**المقام السابع:** التى تسمى فيه النفس بالكاملة، فسرّها بالله، وعالمها كثرة فى وحدة وحدة فى كثرة، ومحلها الإجماع سوى سسته إلى الخفاء كنسبة الروح إلى الجسد، وورادها جميع ما ذكر من الأوصاف الحميدة الحسنى للنفوس المتقدمة،

ومفتاحها الاسم السابع، وهو: قهار قهار قهار، فيكثر منه وهو أعظم المقامات لأنه قد كملت فيه سلطنة الباطن وثمرت فيه حكايدة والمجاهدة وتحقق بإشارة قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَتَوْا بِهَا بِكْرَهُمْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾<sup>(١)</sup> الآية، ليس لصاحب هذا المقام مطلب سوى رضوان الله، حركاته حساسات، وأنفاسه قدرة وحكمه عبادة.

واعلم أن اسمه تعالى القهار اسم القطب، قال المشايخ: ومنه بمد القطب المرهدين الطالبين بالأنوار والهدايات والبيارات، وقالوا: مهما حصل في قلوب المرهدين من الفرح والسرور والجدات الكائنة بغير سبب فهو من مدد القطب عوضاً عن أذكارهم وتوجهاتهم لهم.

وصاحب هذا المقام لا يعتر عن العادة، وذلك إما بجميع البدن أو باللسان أو بالقلب أو بالرجل، وهو كثر الاستغفار، كثر التواضع، سروره ورضاه في توجهه الخلق إلى الحق، وضره وعضبه في إديارهم عن الحق يرضى برضاه وبغضه لغضبه، يحب طالب الحق أكثر من محبة ولده الذي من صلبه، وهو كثر الأوجاع قليل القوى قليل الحركة، ليس في قلبه كراهة لمخلوق، مع أنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويظهر الكراهة المحارية لمستحق الكراهة، ويظهر المحبة لمن هو أهل المحبة، لا يخاف ولا يحشى إلا الله، لا تأخذه في الله لومة لائم، يرضى في عين الغضب، وبغضب في عين الرضا، لكنه يصع كل شيء في محله متى وجه همته إلى كون من الأكوان، أوجده الله تعالى على وفق مراده، وذلك لأن مراده مراد الله لا يطلب إلا ما أَرَادَهُ اللهُ، فإذا أراد شيئاً وطبه منه لا يردده ولا يخفيه.

تتمة: اعلم أن الإنسان من أشرف الموجودات ومجمع عالم العيب والشهادة وروحانيته على مثال عالم الشهادة، وم يخلق الله شيئاً في الدنيا والآخرة إلا وخلق الله فيه صفة تناسب ذلك الشيء، فحجمي مع صفات العالم مودعة فيه، ولذا سمي بالعالم الأصغر، ولذلك أن السيار إذا عبر على الصفات الحيوانية عاى صفة يعبر عنها في الهيمية يرى حيوان تلك الصفة غالباً، فيرى في صفة الفأر والنمل، فإن كان حرصه كثيراً رأى الفأر وإن كان قليلاً رأى النمل، فإن رأى الفأر والنمل افترس به أو عصه دل على قوة تلك الصفة فيه، وإن رآهما ماناً أو قطعاً دل على موت تلك الصفة، ويرى سة الشر مثلاً على صورة الدب والخنزير لأن كلا منهما شحيتة الشر، لكن الأولى أشد صرراً على الأعمال الطاهرة، والثاني أشد صرراً على الأعمال الباطلة، فإن رآهما قويين دل على قوة تلك الصفة فيه، وإن رأى أحدهما قوياً والآخر ضعيفاً دل على ضعف تلك الصفة تارة وقولها أخرى، وإن رآهما ضعيفين دل على ضعفهما فإن رآهما متينين مقطعين دل على موتهما أو انفصالهما عنه، وإن رآهما آدياه وصراه دل على ضرر في ديه يرى صفة البخل على صورة الكلب والقرد، والأول أشد في الأمور المعنوية، والثاني أشد في الأمور الحسية، فتارة يراها السالك قويين أو ضعيفين، أو أحدهما قوى والآخر ضعيف، على وزن ما تقدم في النمل والفأر، وإن رآهما قويين لكن لم يمترساه ولا أحدهما دل على تحريك تلك الصفة لكن لم يصره ذلك لتعكره وتنصره، ويرى الكبير المدموم على من شأنه ذلك فإن رآه ضعيفاً دل على ضعفها، أو قوياً دل على أنه قوى، فإن رآه قاتله دل على منارعة تلك الصفة الخبيثة لصفة التواضع، وإن غلبه وقتله دل على عروجه منها بالمجاهدة لكن إن كان القتل بسيف فهو بالذكر، وإن رآه فانيا ميتاً فتلك الصفة فبت عنه ويرى الحق للمدموم على صورة الحية، وهو

ضد المسامحة ويرى الغضب المدعوم شرعاً على صورة الحمار الذئب فإن رأى واحداً من ذلك مات تحته دل على موت تلك الصفة منه، وإن رأى أنه راكباً فرساً فذلك علامة سيره بالقلب أو جملاً فذلك علامة على المهمة، وذلك بقدر علوه عن الأرض، وإن رأى أنه في سفينة في تلك البحر فذلك الشريعة والبحر الطريقة، وقدر سيرها على قدر سيره، والمسك كسب حلال، والأوز والدجاج والحمام مثال حرصه على الحلال، وعسل النحل أملاق جيدة، وإن رأى نساء دل على نقصان العقل، ورؤية القمر دليل على ارتكاب المكروه، وإذا رأى إنساناً ملغوساً اللحية دل على نقص الشرع منه، ومثله مخلوق اللحية، ومن رأى أخرج دل على أنه ادعى الحق ولم يمش عليه، ورؤية المكسح عصيان أمر الله، ورؤية الأعشى دليل على كتمان الشهادة، ورؤية الأطرودس دليل على عدم سماح الشريعة والوعظ، ورؤية الأعرس دليل على أنه لا يتكلم في الحق ورؤية الحلوى دليل على شرك العبادة، ورؤية الدلال والدلالة دليل على الكذب، ورؤية القصاب دليل على قساوة القلب، ورؤية المصحف والقراءة دليل على صفاء القلب، ورؤية المشايخ دليل على الإرشاد لنفسه، ورؤية المديهة المنورة والكعبة والقدس دليل على الطهارة من الدنس، ورؤية السيف والموسى والمنافع والنعمة دليل وإشارة على الوسوس الشيطانية، ورؤية الحور والملائكة والجنة دليل على كمال عقله والقرب إلى الله، ورؤية الشمس والقمر حصول معارف الله عز وجل.

تنبيه: إذا أكثر السالك من الذكر تظهر له كرامات وعلامات ويكشف له عن طبائعه الأربع: الماء والتراب والهواء والنار، وصفاتها وكدراتها بحسب قوة الاستعداد وعدمه ف يرى مياهاً كثيرة وتلالاً وطيراناً في الهواء ونيراناً مختلفة سوداً وحمراً وزرقاً وصفراً وبياضاً، فإذا صفا دلث العنصر بالمداومة على الذكر يرى

سراجاً ومصابيح وشموعاً وقناديل وسيراً صافية، وربما يدخل فيه النار ويمشي عليها من غير أن تلحقه مصرة وبتلذذ برؤية هذه الأشياء، فإذا رأى هذه العاصر المكسرة دل على تعمير الباطن والتقصير في بقى الخواطر، فينفى ذلك بالذكر الجهرى بالشدة والقوة، كما مر، مع استحصار الشيخ، ثم يتقل إلى عالم الأنوار فيرى أنواراً مختلفة، فما يكون على صورة البرق واللوامع فأكثره منشأ الذكر والرصوة والصلاة، وما يكون على صورة السراج والشمس وأمثالها فأكثره يكون ولاية الشيخ، أو من الحصرة النبوية، أو من أنوار العلوم أو القرآن أو الإيمان، وكذا الشمع والسراج نور قلبه وصورة المشكاة والقديس، وما يشاهد على صورة الكواكب يكون من الأخلاق المحمدية.

واعلم أن المقامات التي تراها الصالحون كسرار يظهرها الله سبحانه وتعالى في مرآة القلوب الصافية، والرؤية الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة، وقال ﷺ: «لم يبق من النبوة إلا المبشرات» فين: وما هي يا رسول الله؟ قال: «الرؤية الصالحة يراها المؤمن أو تُرى له» وقال ﷺ: «أصدقكم حديثاً أصدقكم رؤياً، وإذا ائتمرت الزمان لم يكذب رؤياً المؤمن، وكان ﷺ يقول عند انصرافه من صلاة الصبح: «من رأى منكم رؤياً فليخبرني أعبرها له» لكونه يرى أثر الروحى الإلهى في أمته.

فهذه المقامات تنبى عن أحوال السالكين إذ جميع ما يراه المؤمن في منامه على اختلاف درجة السائرين كشفاً عن أحوالهم الظاهر والباطنة فليثبت القاصر للرؤية لئلا يزيد فيها على ما يراه، فتدخل في قوله ﷺ: «من كذب في حلمه فليتبوأ مقعده من النار» ومن كذب في منامه في السالكين دل على حياته وعدم صدقه مع الله، وكان عقابه وخيافته راجعة إليه، فإن كان كذبه، وإن نعى عن الشيخ،

ورقاه بتلك المقامات والأسماء وألبسه الحرقة، فإن ذلك لا يحفى على الله ولا على أهل الطريقة، والله لا يحب الحائنين، فإذا علم المرشد كذب نفسه فليتب به وليتب، فإن مكر به وطرده فليستدرك نفسه بالرجوع والاستعمار، وليحذر الشيخ عما صدر منه ليتوجه الشيخ إلى الله تعالى في قبوله، لأنه كذب في سر الله الذي هو وحي الله تعالى لعباده على لسان ملك الإلهام يبشرهم الله به ويعطهم ليردادوا بذلك جدًا وزهدًا.

قال بعض المحققين: اعلم أن أنواع الرؤيا أربعة أحدهما المحمود ظاهرًا وباطنًا كالذي يرى أنه يكلم الله، عز وجل، أو أحد الملائكة أو الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، في صفة حسنة، أو كلام طيب أو أنه يجمع جواهر أو أكلا طيبًا أو يرى أنه في مكان من مكان العادة، ونحو ذلك.

الثاني: المحمود ظاهرها المذموم باطنها كسماع الملامى أو شم الأزهار فإن ذلك هموم وأفكار، ولم يربى ما به يتوفى منصبا لا يتيق به.

الثالث: المذموم ظاهرًا وباطنًا، كمن يرى حية لدعته أو نارًا أحرقته أو ميلا عرقه أو هدمت داره أو انكسرت أشجاره، هناك ردىء لدلالته على الهم والنكد.

الرابع: المذموم ظاهرًا المحمود باطنًا كمن يرى أنه ينكح أمه، أو يذبح ولده، فإنه يدل على الوفاء بالندى أو الحج إلى أكبر أماكن العبادة، وعلى أنه ينفع أمه، ويزوج ولده، وعلى مواصلة الأهل، وعلى رد الأمانيات.

ثم اعلم أن أحوال السالك إما رؤيا، وإما واقعة، فالرؤيا ما يراه في النوم والواقعة ما يراه في جال اليقظة، وهو مغمض عييه، ويسمى ذلك بعالم المثال وعالم الملكوت، والدخول في عالم المثال لا يكون للسالك إلا في حالة اليقظة

والنوم، ويعرض ذلك وهو جالس غائب، ويرى ما يرى، وقد يكون صاحب هذه الواقعة مفتوح العيبر لكن لا بد من دهور يمتري الرأي.

وفي هذا المقام يكون الهو الله، وهي خطاب الحق بطريق المكائنة في عالم المثال، وشرط من هو في عالم المثال أن يعلم المكان الذي هو فيه والوقت، ويعلم أنه بين النوم واليقظة ثم يترقى حتى يصير جانب اليقظة أغلب. اهـ.



# الخاتمة

في شيء من مصطلح القوم  
مما ينبغي الوقوف عليه



أى فى بيان تفسير ألفاظ تدور بين هذه الطائفة، وبيان ما يشكل منها على غيره.

اعلم أن كل طائفة من العلماء لهم ألفاظ يستعملونها فيما بينهم، اعترضوا بها عن سواهم، حيث توافقوا عليها لتقريب الفهم على المخاطبين بها أو للتسهيل على الوقوف على مقاصدهم بإطلاقها، كأهل أصول الدين، حيث اصطلاحوا على إطلاق العالم والجوهر والسكون والحال وغيرها لمعادن أرادوا ربما وافق بعضهم مقتضى اللغة على وضعها الحقيقي، وهذه الطائفة يستعملون ذلك الكشف عن المعاني وللإجمال والستر على من يبالغ في طريقهم، وهى معادن أودعها الله فى قلوبهم.

ولنشرح ظواهر بعض اصطلاحاتهم ليسهل فهم من يريد الوقوف على معانيهم من سالكى طريقهم.

**فمن ذلك قولهم:**

**التصوف هو تفريد القلب لله، واحتقار كل ما سواه.**

**المراقبة هى استدامة علم العبد باطلاع الرب عليه.**

**المشاهدة هى رؤية الحق فى كل درة من ذرات الوجود مع التزبه عن ما لا**

**يليق به.**

**الاتصال، قال الثورى رحمه الله: الاتصال أن لا يشاهد العبد غير خالقه، وقال**

**بعضهم: الاتصال وصول السؤال مقام الدهول، وقال بعضهم: الاتصال مكاشفة**

**القلوب ومشاهدة الأسرار.**

الشهود بروية الحق بالحق التحلى ما ينكشف لقلب السالك من أنوار العيب، فإن كان مبدؤه الذاتى من غير اعتبار صفة من الصفاتسمى تجلى الذات، وأكثر الأولياء ينكرونه ويقولون: إنه لا يحصل إلا بواسطة صفة من الصفات فيكون هذا من تجلى الأسماء الذى هو قريب من تجلى الصفات من حيث تعيينها وامتيازها عن الذات، تسمى تجلى الصفات، وإن كان مبدؤه فعلاً من الأفعالسمى بتجلى الأفعال، فتجلى الأسماء هو ما ينكشف لقلبه من صفاته تعالى، وذلك بعد فناء صفات السالك ظهر على السالك بصفة من صفاته تعالى بعض آثار تلك الصفة بفضل الله تعالى، مثلاً إذا تجلى عليه الحق تعالى بصفة السمع صار يسمع تعلق الجمادات أو غيرها، وقس على ذلك، وتجلى الأفعال هو ما ينكشف لقلب السالك من أفعاله تعالى، فإذا تجلى الحق تعالى على السالك بفعل من أفعاله الكشف السالك جريان قدرة الله تعالى في الأشياء، فرى أن الله تعالى هو المحرك وهو المسكن شهوداً محالاً لا يعرفه إلا من هو أهله، وهذا التحلى مزية الأقدام فيخشى على السالك منه لأنه ينفى العمل الثابت.

واعلم أن تجلى الأفعال سابق على تجلى الصفات والأسماء، فإذا ثبت السالك وأقام الشريعة على نفسه مع شهود أن المحرك والمسكن هو الله ترقى من هذا التحلى الخطر إلى تجلى الأسماء والصفات، وإن لم يثبت تزندق وطرده من الطريق. الشوق احتياج القلوب لقاء الم محبوب.

المحبة هى ميل الطبع إلى الشيء لكونه لذيقاً، ومحبة السالكين ميل قلوبهم إلى جمال الحضرة الإلهية.

الحال معنى يرد القلب بلا تصنع ولا اجتلاب ولا اكتساب، وهو إذا قرب أو حزن أو قبض أو بسط أو هيب أو غير ذلك مما يرد على القلب، فإذا زال عنه فهو

المسمى بالحال، وإذا دام وصبار ملكة يسمى مقامًا، فالأحوال مواهب والمقامات مكاسب.

الوقت عبارة عن التحلى للعبد من الحق تبارك وتعالى.

القبض والبسط حالتان يحصلان للسالك المتوسط في الطريق، كما أن الخوف والرجاء يتعلقان بأمر مستقبل مكروه أو محبوب، فالقبض يورث عشية وأدبا معروفًا لأنه يزهد في الدنيا، ويدل على الأمر.

والبسط فرح القلب بالتوجه إليه.

الهيبة والأنس حالتان فوق القبض والبسط، كالخوف والرجاء، والهيبة مقتضاها الصبر والإفاقة.

الشرب والرى عبارة عما يجذبه عن ثمرات التحلى ونتائج الكشوفات وموارد الواردات، فأول ذلك الدوق ثم الشرب ثم الرى فصحاء معاملتهم توجبهم دوق المعاني ووفاء منارهم توجب لهم الشرب وقوام مواصلتهم توجب لهم الرى، فصاحب الدوق متناكر، وصاحب السكر شرهان، وصاحب الرى صياح السر وسر السر، قال: تحمل على أنه اللطيمة الربانية المودعة في القلب كالأرواح وهو باطن الروح، فإن تنزل درجة كان روحًا وإن تنزل أخرى سمى قلبًا، وأصولهم تقضى أنه محل المشاهدة كما أن الأرواح محل المحبة، والقلب محل المعارف، وقال: السر ما لك عليه إشراف، وسر السر ما لا اطلاع لغير الحق عليه.

الملكوت عالم الغيب المختص بالأرواح والنفس المجردة.

الرتبة الأحادية للرتبة المستهلكة في جميع الصفات والأسماء، وتسمى جميع الجمع.

الفناء أن يفنى السالك عن الخطوط فلا يكون له في شيء حظ بل يفنى عن الأشياء كلها شغلا بالله.

والبقاء هو أن يفنى بما له ويفنى بما هو الله تعالى.

الجمع شهود الأشياء بالله، والتبرى عن الحول والقوة.

جمع الجمع الاستهلاك بالكلية والفناء عن ما سوى الله، وهي مرتبة الأحدية المتقدمة ويقال: فنا الحس وبقا الأنس.

الفرق الأول هو أن يحتجب السالك بالخلق عن الحق وهو حال عوام السالكين.

الفرق الثاني هو شهود قيام الخلق بالحق ورؤية الوحدة في الكثرة، والكثرة في الوحدة، من غير حجاب بإحدهما عن الأخرى.

التجريد عبارة عن إزالة الأغيار عن القلب، والسر الحرص إجمال إلى طلب الإلهي الوارد على القلب بضرب من القهر.

علم اليقين هو العلم الحاصل بالمشاهدة.

حق اليقين هو فناء صفات تعد في صفات الحق وبقائه علما وحالا لا علما فقط، بالذي يعنى من العبد على التحقيق صفاته لا داته، فحينئذ لا بد من بقاء عين العبد الماني فلا تفنى داته في ذات الحق كما يفهمه الجاهلون الذين كذبوا على الله، بل العبد كلما تقرب إلى الله بالعبودية وإظهار العجز والفناء عن جميع الصفات المناقصة للعبودية وهبه الله فضلا من صفات حميدة خفية عوضا عن ما فنى من الصفات الذميمة الخلقية، والله تعالى هو القادر على كل شيء، لكن متى شاء أذهب من العبد ما فيه من الخبائث وأمدّه بما يعجز عنه كلا سوى الله، فلا مانع لما أعطى ولا معطى لما منع، ولا رد لما قضى، ولا مهذل لما حكّم، وقد مثلوا

لذلك، وهو أن القطعة من الفحم إذا وقع عليها ضوء النار لكر لا بسبب المقابلة، بل بسبب وقوعها على حائط مثلاً، ثم انعكس الضوء من الحائط على قطعة الفحم فأضاءت وهذا مثال لعلم اليقين، وإذا كانت القطعة الفحم بهما النار بحيث تشعر من حرارتها وتفتي أوصافها في أوصاف النار وانفعالها بانفعال النار، وهذا مثال لحق اليقين، وهذا التحقيق مأخوذ من كلام سيدي محيي الدين بن العربي وغيره، فقد قال: ولا تعتقد أن ذات العبد تفتي في ذات الحق، فلا يبقى إلا الحق، فإن ذلك ضلال وجهل لا يرضى به المحققون، وإن وقع من أصحاب السطح ما يشعر بذلك فإن السطح مردود عن أهله، وهو عبارة عن كل كلمة عليها رائحة رعونة ودعوى، وهو من رلات السالكين، وقال ابن الحاج في شرف الحكم، فإن قيل: حقيقة علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين، قلنا: العلم المتواتر بوجود الشيء علم اليقين ورؤيته دون الحلول به عين اليقين.

والحلول حق اليقين، مثال ذلك كعلمنا بوجود مكة ورؤيتها لها وحلوسنا لها، وإن شئت قلت: رؤية هيول السكر أنه يحى به حلالة علم اليقين.

فانظر رحمك الله ما أحلى ضرب هذا المثل من السكر، فإنه سكر.

الطوالع هي أول ما يبدو من تجليات الأسماء في باطن السالك، فتحن أعلانه لها لأنها تور باطنه.

الحجاب هو انطباع الصور الكونية في القسب المانع من قبول تجلى الحق، وقد تكثر الأغيار فتكون حجاباً ظلمانية، وقد يقل وتكون حجاباً نورانياً، فلذلك اختلف المحققون في ترك الأسباب والحجوة لئلا تطبع الصور الكونية في قلبه فتمنعه عن تجلى الحق له، والدليل على أن المانع هو الصور، إنك ترى العابد الذي ليس سالكاً لطريق المحققين بعبد الله سبعين سنة فلم يحصل في قلبه شيء مما يحصل

للسالكين، لأن العابد الذي ليس سالك قلبه مموء الأعير ولا يسعى في إدهامها عن قلبه، ولا يريد ما أراده السالكون بل يطلب ما وعده الله تعالى في الجنة، وهو لا يخلف الميعاد، وأما العابد السالك فيعصيه الله في الدب التحيات وله في الآخرة أعلى المقامات

الهوية السارية في جميع الموجودات هي عبارة عن الدات العلية الملاحظة لا بشرط شيء، ولا بشرط لا شيء.

وقال الفصير في شرح تائية ابن عارض: اعلم أن الدات الإلهية إذا اعتبرت من حيث هي هي أعم من أن تكون موصوفة بصفة ما، أو غير موصوفة، فهي مسماة عند القوم باهوية، وحقيقة، لحقائق، وإذا اعتبرت مجردة عن الصفات الزائدة عليها فهي المسماة بالواحدية والإلهية مشتملة عليها، والصفات إن كانت متعلقة باللفظ والرحمة فهي مسماة بصفات الجمالية، وإن كانت متعلقة بالغير تسمى بالصفات الجلالية، ولكن مهماً جمال وجلال، أي: وللصفات الجمالية جلال وللجلالية جمال، وإذا اعتبرت الظاهرة الخليفة من غير استهلاك فيها تسمى بمقام الفرق، والفرق منقسم بقسمين: لأول، والثاني، ويعني بالأول ما يكون قبل الوصول، والثاني بعد الوصول، والفرق الأول للمحجوبين، والثاني للكاملين، المكملين ويقال له: الفرق بين الجمع والصحو بعد الخو والبقاء بعد الصفاء، والصحو الثاني، وما يشبه ذلك وهي عذرة عن إفاقة العبد بعد صفعه، أي بعد أن تجلى عليه الحق سبحانه وأضاء عن أخته، ولما كان الوصول إلى الحضرة الإلهية متوقفاً بالعناية الأثرية الجاذبة للعبد إلى ربه لأن حال العبد في البداية دائرة بين الصحو والخو، ويعني بالصحو السكر، وهي حالة ترد على الإنسان بحيث يعيب عنها عن عقله ويحصل منه إبطال وأفعال لا مدخل للعقل فيها كالسكران من الخمر،



لكن يبهما من ابرق ما بين السماء والأرض، وهذا السكر نتيجة المحبة، وهى نتيجة الجذبة وهى نتيجة التوفيق والعبادة، فلا مدخل للكسب فيها، وهذا حال المحبوبين لا حال المحبين، فإن جذهم إنما هو بعد السلوك والمجاهدة.

الطهارة حفظ الله العبد من المخالعات.

ظاهر الظاهر، من حفظه الله من المعاصى.

ظاهر السر، من لا يذلل عن الله طرفة عين.

الوجود هو استدعاء النفس إلى الخيرات وترك الدنيا وحب الآخرة والتواجد

استدعاء الوجود بضرب اختيار.

الوجود، هو البعد عن حضرة الخلق والقرب من حضرة الحق.

كيمياء العوام استبدال المتاع الأخرى الباقى ~~بالخطام~~ الديوى العان.

كيمياء الخواص طهي القلب من الكون.

كيمياء السعادة التحلى عن الأوصاف الذميمة والتحلى بالأوصاف الحميدة

المحاضرة والمكاشفة والمشاهدة والمعاينة وهما أكمل من المكاشفة، والكشف أكمل

من المحاضرة، فهى — أسمى المحاضرة — تكون ابتداء أول المراتب ثم المكاشفة ثم

المشاهدة فالمحاضرة حضور القلب مع الحق بالبرهان، ثم بعده المكاشفة، وهى

حضور القلب بالوصف التام بالبرهان غير مفتقر إلى تأمل الدليل وتطلب السبيل،

ولا يحير من دواعى الرهب، ولا محبوب عن تمت الغيب ثم المشاهدة، وهى وجود

الحق تعالى من غير بقاء الهمة لما شاهده من الكمال، وتطلق المشاهدة أسمى رؤية

الأشياء بأدلة التوحيد، فصاحب المحاضرة مربوط براهبه ومحاورى عادته،

وصاحب المكاشفة مبسوط بصفاته وصاحب المشاهدة يلقى فى ذاته لفاته هما

سوى الحق.

والمعاينة قليل: غايتها تحقيق إحاطة الذات التي لا تصلح مع وجودها كرهاً بغير اللوائح واللوامع، هذان كناية عن اختلاف أحوال أدب السلوك وما يفتح الله به عليهم من المقامات التي يدعون بنوع كمالها كالزهد والتوكل والرضا والتسليم والمحبة، وهما والطوالع متقاربة معنى لا يكاد يحصل بينهما كبير فرق، وإن كانت الطوالع أتم ثم اللوامع، وهي صفة أصحاب الدبانات الصاعدين في الترقى بالقلب، فتكون الأشياء التي تظهر لهم أولاً لوائح ثم لوامع ثم طوالع، فاللوائح كالبروق ما ظهرت ثم استترت، واللوامع أظهر من اللوائح، وليس روالها بتلك السرعة التي للوائح، فقد تبقى اللوامع وقتين وثلاثة مثلاً، فإذا لمع الطالع قطعك عنه، وجمع به التكوين والتحكين.

التكوين صفة أرباب الأحوال، والتحكين صفة أهل الحقائق، يقال ليل الحال والرجوع عنه، فصاحبه قارة يكون مع الحق رابرة مع نفسه فهو متلون، ويقال: الانتقال من منزل إلى آخر إلى أن يصل إلى مطلوبه الأقصى، فيصير ممكناً فما دام العبد في الطريق فهو صاحب توبين لأنه يترقى من حال إلى حال، فإن وصل إلى مقام التوحيد وعلم على قلبه حال الحق العقل، ومن ثم قال المشايخ: انتهى سفر الطالبين إلى الطمر بموسمهم، فإذا ظمر بموسمهم فقد وصلوا، واعلم أن العبد الحاصل بما يرد على العبد يكون لأحد أمرين: إما لقوته أو لضعف الوارد عليه، فإن كان الوارد قوياً وصاحبه ضعيفاً لم يحمله، وإن كان بالعكس حمله ولم يتغير النفس هي عند القوم ما كان معلوماً من أوصاف العبد مدموماً من أفعاله وأخلاقه، وكثيراً ما يعبرون بها عند مبدء الصفات المدمومة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ

النَّفْسَ لَأَمَّارَةً بِالشَّوْءِ ﴿١﴾ ولذلك اعتدت من أكبر أعداء الإنسان لصعوبة الخلاص من شرها، ألا ترى أن الإنسان إذا صافح لأعداء أمن من شرهم، وإن صافح نفسه أهلكته، ولذلك كان جهادها الجهاد الأكبر، ثم إن:

المعلولات من أوصاف العبد الشاملة لأفعاله وأخلاقه على صريحتين: أحدهما كسباً كمعاصيه ومخالفته أمر ربه، كالتربا والسرقة، والثاني أخلاقه الدنيوية التي طبع عليها، كالجهن والجزاء والميل الشديد فهي في نفسها مدمومة، ومع ذلك فإن عاجلها العبد ونازلها، أي تركها وانتقل عنها، تنمي بالمجاهدة تلك الأخلاق على العادة المستمرة وإن لم يتغير الطبع وهو المير بكل لذية والصرة عن كل كريهة، فالنفس بطبعها تميل إلى الدنيا لكونها لا تعرف حساً غيرها، فإذا عرفت نقصها وحجبها عن الخيرات تفوتها، وكذلك من ينظر إلى الأعمال الصالحة ومشقة القيام بها يجد نفسه بافرة عنها، فإذا عرف ما يترتب عليها من العوائد مال إليها وكره تركها، فالذي كان تاركاً له صار مائلاً إليه، والطبع لم يتغير.

والنفس والروح والبسر والعقل عند محققى الصوفية بمعنى واحد، وهو ما يفارق الإنسان بموته من اللطيفة الإنسانية والحقيقة الربانية، ومن هؤلاء الغزالي حيث قال: النفس للذم وللحقيقة الربانية، ونسر لما يكتم، وفرق بعضهم بينهما بأنه يحتمل أن تكون النفس لطيفة مودعة في هذا.

الغالب هي الأخلاق الممودة، ويعبر عن هذا بأن الروح جوهر نوراني علوي رباني، والنفس ظلمانية سلبية شيطانية، وأما القلب فتقلب بينهما، فالروح طيبة شائها الموافقة والنفس خبيثة شائها المخالفة، والقلب إن مال إلى الروح اتصف

بصفاً أو إلى النفس فبالعكس، وتكون جملة الإنسان مسخر بعضها البعض والجمع إنسان واحد، ولا يؤثر في الفرق بينهما اشتراكهما في اللطافة فافهم.

الرموز من الفوز تفتح الكنوز  
وفي هذا القدر كفاية لمن وفقه الله  
والحمد لله أولاً وآخراً  
واسأل الله أن ينفعني به والأخوان مدة الزمان  
آمين يا رب العالمين

الحمد لله الذي منح أوليائه بالطلاعة وعص أنبياءه بالشفاعة، والصلاة والسلام على رسول الله المظهر المبشر الذي أنزل عليه الزمل والمدثر، وعلى آله وأصحابه وأتقيائه البررة الكرام، الذين أجمعوا الكبود ومحروا المراقدة وعبدوا الله في جنح الظلام.

# فهرس الموضوعات



مرکز تحقیقات کتاب و اطلاع رسانی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

| الصفحة | الموضوع   |
|--------|---|
| ٩      | الباب الأول: في كيفية العهد والتلقين ووصية الشيخ للمريد بعد العهد                       |
| ١٩     | الباب الثاني: في الذكر وآدابه والحث على استعماله  |
| ٤٣     | الباب الثالث: في بيان الطريق الموصل إلى الله وأركانها حسب ما قالوه على الوجه الذي ذكروه |
| ٩٧     | الباب الرابع: فيما يتعلق بالشيخ وشروطه وآدابه   |
| ١٠٥    | الباب الخامس: في بيان آداب المريد مع شيخه   |
| ١٢٥    | الباب السادس: في بيان آداب المريد مع إخوانه   |
| ١٣٧    | الباب السابع: في بيان آداب المريد مع نفسه   |
| ١٤٥    | الباب الثامن: في الأسباب التي يستحق بها المريد الطرد من شيخه                            |
| ١٤٩    | الباب التاسع: في النقابة والنقباء وما يتعلق بذلك  |
| ١٥٩    | الباب العاشر: في النفوس وتقسيمها وأوصافها والأسماء التي يستعملها السالك في كل نفس       |
| ١٨٥    | الخاتمة   |
| ١٩٧    | فهرس الموضوعات  |